هداية البشرية في التسليم للنصوص الشرعية

التوحيد

إلا تنصروه
فقد نصره الله

الانقلاب الحوثي والأطماع الإيرانية

- من آداب المفتي والمستفتي
- الإسلام منهج حياة
- قصة سكن موسى عليه السلام في ظل العرش

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٢١ السنة الرابعة والأربعون جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ
الثمن جنيهان

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

عَزاءُ مَنْ ماتَ شهيدًا

الشهادة في الإسلام نوعان: شهادة حقيقية وهو من مات في المعركة مقاتلاً لتكون كلمة الله هي العليا، وشهادة حكمية وهي أدنى من الأولى وهي ما ورد فيها النص عن رسول الله صلي الله عليه وسلم كمن مات دون عرضه أو دمه أو ماله أو غريقا أو في الهدم أو مبطونا أو المرأة تموت في نفاسها أو نحو ذلك وعزاؤنا لهؤلاء ما ورد من كلام سيد البشرية عن شهداء الأمة.

قال: "إنَّهُ لَمَّا أُصيبَ (قُتِلَ) إخْوانُكُمْ يَوْمَ أُحُد؛ جَعَلَ اللهُ أرْواحَهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ (تشرب من) أنْهارَ الجَنَّةِ، تأْكُلُ مِنْ ثِمارِها، وتَأْوِي إلى قَنادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقةٍ في ظِلِّ العَرْشِ، فلمَّا وجَدوا طِيبَ مأكلِهم ومشربِهم ومَقيلِهم قالوا: مَنْ يُبلِّغُ إخْوانَنا (الأحياء) عنا، أنَّا أحْياءٌ في الجَنَّةِ، لئلا يَزْهَدوا في الجَنَّةِ، ولا يَنْكُلوا (لا يترددوا ويفروا) عندَ الحرب، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عَنْكُمْ.

فاسمع يا أخي تبليغ الله تعالى عنهم: قال: (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(آل عمران: ١٦٩- ١٧٠). نِعْمَ المُبلِّغ، ونِعْمَ ما بَلَّغَ به.

التحرير

مفاجأة كبرى

تقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٢ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٢ سنة كاملة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي السالوس ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
الهم الوحيد: صلاح عبد الخالق ٢٣
منبر الحرمين: الشيخ صالح آل طالب ٢٧
الأسباب الوقائية في السنة النبوية لظاهرة الغلاء في الأسعار:
د. سليمان بن صالح الثنيان ٣١
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
أثر السياق في فهم النص: متولي البراجيلي ٣٨
باب العقيدة: د. عبد الله شاكر ٤٢
فقه التعامل بين المسلمين: الشيخ مصطفى العدوي ٤٦
باب السيرة النبوية: جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية)
و(الفعلية): د. محمد عبد العليم ٥٧
الإسلام منهج حياة: صلاح نجيب الدق ٦١
باب الفقه: د. حمدي طه ٦٦
أيتهما أولى بالإيثار: عبده الأقرع ٦٨
باب الفتاوى: اللجنة الدائمة للإفتاء ٧١

مطابع الأهرام التجارية. قليوب. مصر

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الاخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

٨٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

افتتاحية العدد

هداية البشرية فى التسليم للنصوص الشرعية

الحلقة الثانية

بقلم / الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله منزل الكتاب، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بالسنة المبينة للكتاب، وعلى آله وأصحابه، وبعد:

فبعد حديثي عن تعظيم النصوص الشرعية، وبيان أنها هي التي يُعتمد عليها في أصول الدين وفروعه، وهذا أصل عظيم من أصول الإسلام، ويأتي بعد هذا أمر لا يقل أهمية عن التسليم للنصوص، ألا وهو فهم النص الشرعي للعمل به وعدم الخروج عليه، ولذلك أقول:

فهم النصوص الشرعية ضرورة حتمية للعمل بها:

إن فهم النصوص الشرعية ضرورة حتمية للعمل بها، وهذا الفهم نرجع فيه إلى سلف هذه الأمة الصالحين، ومن تبعهم بإحسان ممن وقف على أقوالهم، وعرف مرادهم، وصحة استدلالهم من أهل السنة والجماعة، وللصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- قدم السبق في هذا لما شرَّفهم الله به من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وتعديل الله لهم في كتابه، قال الله تعالى: «وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ» (التوبة:١٠٠).

وقال عبد الله بن مسعود: «من كان منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديًا وأحسنها حالاً، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». (جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٤٧).

العمل بفهم الصحابة والرجوع إليهم:

والصحابة- رضوان الله عليهم- عاصروا الوحي وشاهدوا التنزيل، فهم أعلم الناس بمراد الله سبحانه، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، وكانوا أعظم الناس قيامًا بدين الله، وتطبيقه واقعًا عمليًّا في حياتهم، قال سفيان الثوري والسدي في قول الله تعالى: «قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ» (النمل:٥٩). هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. (تفسير ابن كثير: ٣/٥٠٣).

وذكر ابن جرير عن قتادة أنه قال في قول الله تعالى: «وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ» (سبأ:٦). «هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم». (تفسير الطبري ٢٢/٤٤).

وقال فيهم الإمام الشافعي رحمه الله في رسالته البغدادية التي رواها عنه الحسن بن محمد الزعفراني: «وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامًا وخاصًا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع

وعقل». (إعلام الموقعين ١/ ٨٠).

وقال ابن حزم: «وقد أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم ألبتة، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة». (الفصل ٤/ ١٤٨).

وقد ذكر الإمام الشاطبي أمورًا متعددة ترجح العمل بفهم الصحابة والرجوع إليهم، ومما ذكر في ذلك: ثناء الله عليهم، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (آل عمران: ١١٠)، وقوله: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (البقرة: ١٤٣)، ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي باستقامتهم في كل حال، وفي الثانية إثبات العدالة مطلقًا، ولا يقال: إن هذا عامَ في الأمة؛ فلا يختص بالصحابة دون غيرهم، فنقول على تسليم التعميم؛ بأن الصحابة أول داخل في شمول الخطاب؛ لأنهم أول من تلقى ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم المباشرون للوحي، ولذلك فهم أولى بالدخول من غيرهم؛ إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم، فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح، فيصح أن يُطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط، أي: عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به، وقد جاء في الحديث الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ». وقوله: «تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». (باختصار وتصرف من كتاب الموافقات ٤/ ٧٤- ٧٦).

من أصول دعوتنا المباركة: العودة إلى السلف الصالح:

ومن هنا كان من أصول دعوتنا المباركة العودة بالأمة إلى ما فهمه الصدر الأول من النصوص، لأنهم أعلى وأرفع وأفهم ممن جاء بعدهم، يقول ابن تيمية رحمه الله: «فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم وهم خير الناس بعد الأنبياء؛ فإن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحاح من غير وجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله؛ كالتفسير وأصول الدين وفروعه، والزهد والعبادة، والأخلاق والجهاد، وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم، كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم». (مجموع الفتاوى: ١٣/ ٢٤).

إن فهم النصوص الشرعية ضرورة حتمية للعمل بها، وهذا الفهم نرجع فيه إلى سلف هذه الأمة الصالحين، ومن تبعهم بإحسان ممن وقف على أقوالهم، وعرف مرادهم، وصحة استدلالهم من أهل السنة والجماعة.

ويشير ابن القيم رحمه الله إلى ضرورة الأخذ بأقوال الصحابة لتقدمهم وفضلهم في العلم والدين، فيقول: «إذا وُجد في المسألة قول لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الذين هم سادات الأمة وقدوة الأئمة، وأعلم الناس بكتاب ربهم تعالى وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم في العلم إليهم كنسبتهم إليهم في الفضل والدين، كان الظن والحالة هذه بأن الصواب في جهتهم والحق في جانبهم من أقوى الظنون، وهو أقوى من الظن المستفاد من كثير من الأقيسة، هذا ما لا يمتري فيه عاقل منصف، وكان الرأي الذي يوافق رأيهم هو الرأي السداد الذي لا رأى سواه». (إعلام الموقعين ٤/ ١٤٦، ١٤٧).

ورحم الله الإمام ابن رجب الحنبلي الذي أشار بفهم الصحابة ومن تبعهم في أصول الدين وفروعه، وفي هذا كفاية لكل طالب حق ومريد رشد، يقول رحمه الله: فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن

والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق، والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل. (فضل علم السلف على الخلف ص١٠).

العلم الفارق بين الحق والباطل:

والصحابة- رضوان الله عليهم- أعظم الناس عقلاً وفهمًا وأزكاهم نفسًا، وذلك لقوة الإيمان الذي يصحح الإدراك ويجعل لصاحبه فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل، كما قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ » (الأنفال:٢٩). قال الشوكاني رحمه الله: «والفرقان ما يفرق به بين الحق والباطل، والمعنى: أنه يجعل لهم من ثبات القلوب، وثقوب البصائر، وحسن الهداية ما يفرقون به بينهما عند الالتباس». (فتح القدير ٢/٣٠٢).

وقد ذكر الشنقيطي رحمه الله الأقوال في المراد بالفرقان في الآية، ورجح أنه: العلم الفارق بين الحق والباطل، واستدل على ذلك بقول الله: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ » (الحديد:٢٨). لأن قوله هنا: «ويجعل لكم نورًا تمشون به». يعني: علمًا وهدى تفرقون به بين الحق والباطل. (انظر: أضواء البيان ٢/٣٤٩).

ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم خير من حققوا خصال التقوى والإيمان بتزكية القرآن لهم وثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، ولذلك عرفوا وفهموا من الدين ما لا يفهمه غيرهم، كما قال ابن تيمية رحمه الله: «ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علمًا وعملاً، ودعوة إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء أتباع الرسل حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير،... وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم: « وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ » (ص:٤٥)، فالأيدي القوة في أمر الله، والأبصار البصائر في دين الله، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه. (مجموع الفتاوى ٤/٩٢، ٩٣).

> لا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم خير من حققوا خصال التقوى والإيمان بتزكية القرآن لهم وثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، ولذلك عرفوا وفهموا من الدين ما لا يفهمه غيرهم.

وقال في أهل الحديث: ويدخل فيهم الصحابة وهؤلاء أولياء: «.. فهم أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياسًا، وأصوبهم رأيًا، وأسدهم كلامًا، وأصحهم نظرًا، وأهداهم استدلالاً، وأقومهم جدلاً، وأتمهم فراسة، وأصدقهم إلهامًا وأحدهم بصرًا ومكاشفة، وأصوبهم كمًا ومخاطبة، وأعظمهم وأحسنهم وجدًا وذوقًا». (مجموع الفتاوى ٤/٩).

ولم لا يكونون كذلك، وقد ورد القرآن الكريم موافقًا لاجتهادات بعضهم، كما حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه غير مرة، منها ما رواه البخاري عن أنس قال: قالِ عمر: وَافَقْتُ اللهَ في ثَلاَث، أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي في ثَلاَثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ، قَالَ: وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ، قُلْتُ: إِنِ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا مِنْكُنَّ، حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ، قَالَتْ: يَا عُمَرُ، أَمَا في رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ، حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنْتَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ) الآيَةَ ». (البخاري: ٤٤٨٣).

ومن كان بهذه الصفة كان من أصح الناس فهمًا وبيانًا، ولذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما- لما بعثه علي رضي الله عنه لمحاورة الخوارج، فقال لهم في أول ما قال: «جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله». (مصنف عبد الرزاق: ١٨٦٧٨).

يتعين على كل مسلم حريص على دينه أن ينظر إلى ما فهمه من النصوص الشرعية (دالاً على اعتقاد أو عمل) أن يعرضه على فهم السلف الصالح، فإن اعتقدوه وعملوا به، فالحمد لله، وإلا، فليرجع إلى أقوالهم وفهمهم وعملهم.

بل إن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين أكثر هذه الأمة علمًا وخيرًا وبركة، وذلك لقربهم وشدة اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا، وليس هذا مقصورًا على فهم الكتاب والسنة فحسب، بل في جميع مجالات الحياة، فقد فتح الله عليهم، وفتح بهم قلوب البلاد والعباد، كما في حديث أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاس زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ». (البخاري: ٣٦٤٩، ومسلم: ٢٥٣٢).

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم». (شرح النووي على مسلم: ١٦/٨٣).

وقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تلقي العلم ومدارسته وفهمه من النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «والذي لا إله غيره ما أنزل الله سورة إلا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه». (البخاري: ٥٠٠٢). ويقول ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه. (البخاري: ١٠٣).

وهذا يدل على حرصهم على فهم النصوص ومعانيها ومعرفة مراد الله منها ابتغاء وجه الله تعالى. قال الحسن البصري رحمه الله: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم ما أراد بها». ذكره عنه ابن تيمية في درء التعارض (١/٢٠٨).

ولم يكن هذا قاصرًا على الصحابة فحسب، بل كان أتباعهم يحرصون على العلم وفهمه، فهذا مجاهد بن جبير يقول: «عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت». (سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٠).

ومن هنا أقول: يتعين على كل مسلم حريص على دينه أن ينظر إلى ما فهمه من النصوص الشرعية دالاً على اعتقاد أو عمل أن يعرضه على فهم السلف الصالح، فإن اعتقدوه وعملوا به، فالحمد لله، وإلا، فليرجع إلى أقوالهم وفهمهم وعملهم، ويجب أن يعلم أن كل اعتقاد اعتقده الصحابة فمن بعدهم من أصحاب القرون المفضلة، فهو مبني على ما فهموه من نصوص الكتاب والسنة، وأن كل اعتقاد مخالف لاعتقادهم فهو مخالف لما فهموه من النصوص الشرعية، وعليه فليس مرادًا لله ولرسول صلى الله عليه وسلم، وكل عمل تعبدي موافق لما كان عليه الصحابة ومن بعدهم من السلف تقربًا إلى الله تعالى، فهو مبني على فهمهم للأدلة الشرعية التي تلقوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن كل عمل تعبدي مخالف لما كانوا عليه، فليس من السنة ولا يجوز العمل به، وكل اعتقاد وعمل تعبدي تركه الصحابة ومن بعدهم من السلف مع وجود المقتضي، فليس من الدين، بل هو بدعة وضلالة، ومن المعلوم أن من أكبر أسباب الابتداع في الدين، والخروج على جماعة المسلمين، كان بسبب الانحراف في فهم النصوص، وما خرجت الخوارج إلا بسبب عدم فهمهم لنصوص الوعيد، وما ضلت المرجئة إلا لسوء فهمهم لآيات الوعد، والضابط لهذا الفهم هو فهم الصحابة- رضوان الله عليهم-، ثم أتباعهم من أصحاب القرون الخيرية المفضلة، وصدق الشاعر المتنبي في قوله:

وكم من عائب قولاً صحيحًا
وآفته من الفهم السقيم

أسأل الله- تبارك وتعالى- أن يجعلنا من أهل الفقه في الدين، السالكين للمنهج القويم، وصلى الله وسلم وبارك على ديننا محمد وآله وصحبه.

الانقلاب الحوثي والأطماع الإيرانية

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ؛

بالأمس القريب، طال إرهابٌ مذموم صحيفة شارلي الفرنسية، أدانته كل الدول العربية والإسلامية، فالإسلام يجرِّمُ سفك الدماء، وقد جعل مَنْ قَتَلَ نفسًا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعًا، قال الله تعالى: «مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا» (المائدة:٣٢)، ووقف العالم كله في هبَّة لم يَجْلِسْ منها بَعْدُ، وهاجت الدنيا وماجت تتحدث عن القتل والإرهاب، ومنهم من صَنَعَهُ ونفخ فيه وأجَّجَهُ، وخَطَّط له وموَّله، ثم بدأ يحترق بويلاته، مع ما صدر من الصحيفة من إساءة بالغة للإسلام وأهله، ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وإهانتها التي نالت من مشاعر مسلمي العالم قبل الحادث وبعده.

وترتفع بعدها وتيرة الاعتداءات، فيقتلُ مَن يُقتل من المسلمين، واعتداءات يومية على دور العبادة، وإتلاف الممتلكات، دون اكتراث من دولهم التي يعيشون فيها، وفي مصر تتكرر مأساة الأعمال الإرهابية الجبانة؛ نتيجة إرهاب أسود مدبر ومخطط على أرض الفيروز، والتي ما سالت عليها إلاَّ دماء أبناء مصر الأبطال عبر العصور، راح ضحية تلك الأعمال الإجرامية الخسيسة ما يزيد على مائة من أعز شباب مصر وخيرة شبابها، ممن نحتسبهم شهداء عند الله، ومصابين نتمنى لهم الشفاء العاجل، في عدة هجمات إرهابية مخططة ومُمنهجة، هدفها زعزعة مصر، بل المتعلقة بأثرها والنيل من جيشها.

ودولة أخرى تضاف إلى العراق وسوريا وليبيا ولبنان، يبتلع الحوثيون اليمن، ويفككون مفاصلها، ويستولون على مقاليد الأمور فيها، على مرأى ومسمع من العالم كله، ولم نسمع سوى إدانات خافتة، ومباركات ضمنية، وكأن دماءنا صارت رخيصة، فلم تهزهم أرواح ودماء شباب مصر وجنودها، ولا ضياع دولة تضاف إلى الهيمنة الإيرانية، ويُرسم مصيرها ويتحدد في طهران!!

الكيل بمكيالين .. وضياع اليمن !!

إن الناظر بعين الإنصاف ليجد أن الغرب ومعه أمريكا يكيل بمكيالين في كل القضايا التي يكون العرب والمسلمون طرفًا فيها، فمنذ ضرب برجي مبنى التجارة العالمي، وأمريكا بذريعة محاربة الإرهاب، راحت تفتت كيان دول، في احتلال جديد، يعيد إلى الأذهان الحقبة الاستعمارية بكل بشاعتها، فراحت تصول وتجول تحتل الدول، وتجند حلفاءها، وتعاونت مع إسرائيل ومخابراتها، ومع المخابرات الغربية في هدم العراق، وإشعال الحروب بين شعبها بعد أن قسمته مناطق وأحزابًا، وراحت تخطط لهدم الدول العربية في المنطقة، وتدمير ثرواتها، وتفكيك أواصر شعوبها، وتفكيك جيوشها، ولكن الله قد حمى جيش مصر من أن يلقى نفس المصير المحتوم بعد أن ضاعت وانهارت جيوش العراق، وسوريا، ولبنان، وليبيا، ثم جاء الدور من حلفاء أمريكا في الخفاء مكافأة لهم على دورهم في تنفيذ مخططات أمريكا والغرب، وتركت لإيران الحبل على الغارب في العراق وسوريا ولبنان وليبيا، ثم جاء الدور ليقبضوا بقية الغنائم، وفي فترة من الضعف الشديد والانشغال في اليمن راح الحوثيون يسيطرون على الدولة اليمنية، وعلى صنعاء، كما جاء على لسان أحد نواب البرلمان الإيراني في الأيام الماضية قائلاً: «إن العاصمة صنعاء قد التحقت الآن بالثورة الإسلامية»!!

ولولا أن الواقع اليمني يصدق هذه المقولة، لما صدقناها، ولكنها الحقيقة المرة التي أصبح علينا أن نعترف بها الآن، بعد أن سقطت صنعاء في قبضة الحوثيين.. ذراع إيران القوي في اليمن!! حتى إذا وضعنا رؤوسنا في الرمال كي لا نرى هذا الحقيقة المرة، فلا بد أن يشدَّ آذاننا، ويخرج رءوسنا من الرمال تصريح الأمين العام لحزب الله الشيعي في لبنان الأسبوع الماضي، والذي اعترف فيه بأن حزب الله قد أرسل خبراء إلى اليمن قبل سبتمبر ٢٠١٤م لنقل تجربة حزب الله اللبناني في لبنان إلى اليمن!! وقد نجح خبراء حسن نصر الله في نقل التجربة ببراعة واقتدار، فقد أصبح اليمن الآن كلبنان تمامًا، بلا رئيس دولة، وبلا حكومة!! يتحدد مصيره ومستقبله في طهران بحسب مخطط المرشد الأعلى للثورة الإسلامية ومن بعده المراجع الشيعية، وسط صمت أمريكي وغربي يثير علامات الاستفهام!!

قوات الحوثي تسطير على اليمن وتهدد دول الجوار!!

إن ما وقع في الأيام الأخيرة الماضية في اليمن بدءًا من اختطاف مدير مكتب رئيس الجمهورية اليمنية، ثم محاصرة قوات عبد الملك الحوثي للقصر الرئاسي وبداخله رئيس الجمهورية، ومحاصرة رئيس الحكومة في مقر إقامته، وانتهاء بتقديم كل من رئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة استقالتيهما، مرورًا بسيطرة الحوثيين على جميع مؤسسات الدولة في العاصمة صنعاء، كل هذه التفاصيل بثتها وسائل الإعلام بثًا مباشرًا، وقد سيطر الحوثيون على العاصمة صنعاء بسهولة ويسر، وأجبروا القوى السياسية جميعها على التوقيع على ما يسمى «اتفاق الشراكة والسلم»، وكانوا هم أول من نقضوا الاتفاق ولم يلتزموا بالبنود التي وضعوها هم في هذا الاتفاق.

وحاولوا بسط سيطرتهم على بقية المحافظات على مرأى ومسمع من الرئيس اليمني عبد ربه منصور، وعندما عجزوا عن السيطرة على مأرب، ذات الكنز النفطي، أرادوا الاستعانة بالرئيس اليمني، لكنه رفض مطالبهم، فحاصروا قصره، وقتلوا عددًا من أهله وحراسه، وحاولوا اغتيال رئيس حكومته، ثم وضعوهما تحت الإقامة الجبرية، إلى أن تقدما باستقالتيهما.

وكان الرئيس اليمني المستقيل -نائب الرئيس الأسبق علي عبد الله صالح-، قد وصل إلى رأس السلطة في اليمن، وفقًا للمبادرة الخليجية التي أطاحت بالرئيس السابق علي عبدالله صالح عن السلطة بعد الثورة الشعبية التي قامت ضده، وكان من المفترض أن يرأس هادي البلاد لمدة عامين انتقاليين ينتهيان في فبراير ٢٠١٤م، إلا أنه تم التمديد له ضمن توافق بين القوى السياسية في البلاد؛ لإنهاء متطلبات المرحلة الانتقالية التي تم إطالة مدتها بشكل غريب ومريب، وتم التوافق في النهاية على شكل الدولة في المستقبل، مع بعض الاعتراضات من هنا وهناك، وكان على رأس المعترضين

جماعة الحوثي الشيعية الزيدية.

وقد حاول الرئيس اليمني المستقيل مد الفترة الانتقالية، لا لينتهي من متطلباتها كما بدا للبعض، ولكن ليرسخ أقدامه في السلطة، خاصة أن له منافسين أقوياء، فهناك الرئيس المخلوع ونظامه الذي لا يزال يسيطر على بعض مفاصل الدولة اليمنية، وهناك القوى والأحزاب والعشائر ذات النفوذ مثل آل الأحمر، وحزب الإصلاح الذي يمثل الإخوان المسلمين، وكذلك هناك المليشيات الحوثية، وكل هؤلاء المنافسون لهادي أعداء فيما بينهم، فصالح وأعوانه يرون أن آل الأحمر والإخوان هم رأس الحربة للثورة التي أطاحت به، كما أن الحوثيين يرون أن صالح وأعوانه هم سبب الحروب التي شنت عليهم لسنوات طوال، إضافة إلى أن مشروع الحوثيين لا يتفق مطلقًا مع ما يسعى إليه الإخوان والعشائر، وهذه كانت لعبة هادي.

زحف الحوثيين . . والتصادم مع العشائر!!

كانت أولى خطوات هذه اللعبة، هي السماح من قبل الرئيس هادي للحوثيين بقتل وطرد سلفي دماج من مناطقهم في صعدة، وتمكين الحوثيين من تلك المناطق، وعدم قيام الجيش اليمني وقوى الأمن بالتصدي للمليشيات الحوثية آنذاك، وكذلك عدم تمكين العشائر من التصدي لهم، وتمكن الحوثيون بمساعدة هادي من القضاء على قوة السلفيين، وانتهكوا حرمة المساجد وسط صمت مريب من قِبل العشائر والقوى السياسية.

وبعد القضاء على قوة السلفيين، بدأ الحوثيون في التصادم مع العشائر اليمنية وخاصة آل الأحمر، وكانت بداية القضاء عليهم بقرارات من الرئيس عبد ربه منصور؛ حيث أصدر قرارات الإطاحة بالقيادات العسكرية الكبيرة من آل الأحمر، وعلى رأسهم اللواء علي محسن الأحمر، الخصم العنيد لصالح والحوثيين على السواء، وقُلد منصبًا شرفيًا كمستشار عسكري للرئيس هادي.

قام الحوثيون بالزحف على المحافظات والمدن واحدة تلو الأخرى، وسط صمت من الرئيس اليمني المستقيل، وسكوت الجيش الذي اتخذ موقفًا سلبيًا تجاه تمرد ميلشيات مسلحة، وتعديها على مدن البلاد ومحافظاتها، وكان للإعلام الحكومي دور بتصوير قوات العشائر اليمنية بأنها مليشيات مسلحة مشابهة للمليشيات الحوثية، وبالتالي أوهم اليمنيين بأن الصراع الدائر هو صراع بين مليشيات تبحث عن مصالحها، وليس صراعًا بين قوى متمردة من الخارج، وقوى وطنية تسعى للحفاظ على الدولة وهيبتها، وظل الأمر هكذا حتى حاصر الحوثيون العاصمة صنعاء، من جمع الجهات، ثم اقتحموها وفرضوا الأمر الواقع فيها، وأجبروا الرئيس اليمني على التوقيع على ما يسمى بـ «اتفاق السلم والشراكة»، ورضخت له بقية القوى السياسية في البلاد، واستمر الحوثيون في ابتلاع البلاد منطقة تلو الأخرى حتى وصلوا أبواب الكنز النفطي في اليمن «مأرب».

وبعد اقتحام صنعاء من قِبل الحوثيين، أدرك هادي بعد فوات الأوان أن هناك مؤامرة تدار خلف ظهره، أبطالها هم الحوثيون، ونظام صالح، وبات غير قادر على لجم طموح الحوثيين والتصدي لهم بالجيش اليمني الذي بات مشتتًا.

ولكن هادي لم يفقد بعدُ كل أوراقه، فرفض ضغوط الحوثيين لدعمهم في اقتحام مأرب، فمأرب هي إحدى المحافظات الكبرى والتي تضم عشائر كبرى قوية قادرة على الدفاع عن نفسها وصد هجوم الحوثيين، في نفس الوقت فإن محافظات الجنوب اليمني ستقف إلى جانب مأرب حتى لا يطالها المد الحوثي.

وقام الحوثيون بعد ذلك بمهاجمة القصر ودار الرئاسة، وحاصروا الرئيس داخل القصر، وقتلوا عددًا من حراسه وأهله، وحاولوا اغتيال رئيس وزرائه، ولم تقم فصائل الجيش اليمني المتعددة بمحاولة الدفاع عن الرئيس اليمني، ومقر الحكم في البلاد، حتى سيطر الحوثيون على كافة المقرات السيادية في البلاد، وصار هادي وحكومته رهائن لدى الميلشيات الحوثية.

ونما لعلم الرئيس المستقيل أن ما يحدث هو انقلاب حقيقي ضده، ولكنه بدلاً من أن يخرج ليخبر الشعب والعالم كله بما يحدث، إذ به يؤثر مصلحته وسلامته الشخصية على مصلحة البلاد، متقدمًا باستقالته بشكل مفاجئ، ظنًا منه أنه بذلك سيضع الحوثيين في مأزق، مما سيجعلهم يترجونه التراجع عن استقالته، وأن أنصاره في الجنوب اليمني -وهو

من محافظات الجنوب- سيقودون حراكًا يعيده إلى السلطة مرة أخرى!!

وقد كان الحوثيون أكثر ذكاءً من هادي، فسرعان ما تعاونوا مع حليفهم وعدوهم السابق علي عبد الله صالح، وعملا معاً على تعطيل انعقاد البرلمان للبت في استقالة هادي، وإيجاد مخرج دستوري وقانوني للأزمة التي تمر بها البلاد، وجمعوا القوى السياسية تحت مظلة حوار سقيم معهم، بما أعطاهم شرعية سياسية في الخفاء، كانوا يدبرون لإتمام لعبتهم، فكان الإعلان الدستوري الذي أطاح باليمن، وجعله رهينة في يد ميلشيات متمردة مدعومة من جهات خارجية.

الحوثيون.. والدعم الإيراني المعلن!!

وقد وصف علي شيرازي ممثل المرشد الإيراني علي خامنئي، جماعة الحوثي الشيعية في اليمن بأنها نسخة مشابهة لحزب الله في لبنان.

وأكد شيرازي في حوار مع موقع «دفاع برس» التابع للقوات المسلحة الإيرانية: «أن الجمهورية الإيرانية تدعم الحوثيين في اليمن، وحزب الله في لبنان، والقوات الشيعية في سوريا والعراق بشكل مباشر».

وكان «علي أكبر ولايتي» -مستشار المرشد الإيراني الأعلى، والأمين العام للمجمع العالمي للصحوة الشيعية- قد قال: «إن إيران تدعم الحوثيين في اليمن، وتعتبر هذه الحركة جزءًا من الحركات الناجحة للصحوة الإسلامية»، على حد وصفه.

وقالت صحيفة «كيهان» التابعة للمرشد الإيراني: «إن انتصار جماعة الحوثيين في صنعاء، ورفعهم صور مؤسس الجمهورية الإيرانية الخميني، والمرشد علي خامنئي، انتصار طبيعي للثورة الإيرانية، وليست هذه هي المرة الأولى التي يعترف فيها الإيرانيون بدعم الحوثيين في اليمن.

الحوثيون قلة سيطرت على مفاصل اليمن

وتعد حركة أنصار الله «الحوثيون» حركة سياسية شيعية مسلحة تتخذ من صعدة في اليمن مركزًا رئيسًا لها، وعرفت باسم (الحوثيون) نسبة إلى مؤسسها حسين الحوثي الذي قتل على يد القوات اليمنية عام ٢٠٠٤م، وتأسست الحركة عام ١٩٩٢م، وتنتمي قيادة أعضاء الحركة إلى المذهب الزيدي، إلا أن عددًا من السياسيين يعتبرونها ذراعًا عسكريًا لإيران.

ونظرة إلى التوزيع الديموجرافي باليمن نجد أن نسبة المسلمين السُّنة في اليمن تبلغ ٦٣٪ من نسبة السكان، والشيعة الزيدية ٢٨٪، والشيعة الاثنى عشرية ٢٪، والإسماعيلية ٥٪، وتبلغ الجالية اليهودية في اليمن ٤٠٠ فرد، ويبلغ عدد المسيحيين ١٨٠٠ فرد يمني، ويشكون أقل من ١٪ من تعدد السكان، ويبلغ حجم تسليح الحوثيين ١٢٠ دبابة من طراز تي ٦٢، ت٥٥، ١١٠ مدرعة من نوع بي إن بي، بي تي آر، ٢٠ مدفع شيلكا، ١٠ عربات تحمل مدافع كاتيوشا، ١٠٠ صاروخ بين حراري مضاد للطائرات وجارد بري، ١٠٠ مدرعة تحمل رشاشات ثقيلة ومتوسطة، وتبلغ نسبة تسلحها ٧٠٪ من القدرات العسكرية للدولة اليمنية.

مخاطر سيطرة الحوثيين على اليمن

١- إيران وأمن الخليج العربي:

إن وجود الحوثيين في المنطقة يهدد بشكل كبير منابع النفط بالخليج العربي، ونظرًا لاعتبارهم الذراع العسكري لإيران، فإن إحكام سيطرتهم على اليمن يشكل تهديدًا كبيرًا على أمن منطقة الخليج العربي، لا سيما الحدود الجنوبية للسعودية، كما يهدد بتغيير توزيع خريطة المذاهب الدينية في المنطقة متيحًا انتشاراً أوسع للمذهب الشيعي.

٢- مضيق باب المندب وقناة السويس:

في ظل التهديدات التي لا تستطيع الدولة اليمنية التصدي لها، ربما يحدث تنسيق واتفاقيات بين الجماعات المسلحة هناك، والعناصر المسلحة في الصومال لتهديد البحر الأحمر وإعادة القرصنة مرة أخرى.

وان محاولة السيطرة على مضيق باب المندب تعني سيطرة إيران على حركة التجارة الدولية العالمية عبر قناة السويس.

ولا شك أن الأوضاع المتفاقمة في اليمن تتطلب تحركًا عربيًا ودوليًا سريعًا لمنع وصول البلاد إلى أوضاع كارثية، تصل إلى نقطة يصعب العودة عنها، خاصة مع تعنت الحوثيين مع استمرار تدفق الدعم الإيراني لهم، ومراهنة النظام القديم على العودة باليمن إلى الوراء، وهو أمر ليس في مصلحة اليمنيين، ولا المنطقة بأكملها.

نسأل الله العلي القدير أن يحمي بلاد المسلمين من كل مكروه وسوء، وأن يجمعنا على كلمة سواء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة الزخرف

الحلقة الأولى

قال الله تعالى: « حمٓ (١) وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٩) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (الزخرف: ١- ١٠)

بين يدي السورة

الزُّخْرُفُ مَعْنَاهُ الزِّينَةُ الْمُزَوَّقَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: « حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ »(يونس: ٢٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا» (الأنعام: ١١٢)، أَيْ: الْمُزَوَّقَاتُ مِنَ الْكَلَامِ. وَأُطْلِقَ الزُّخْرُفُ عَلَى الذَّهَبِ لِأَنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: « أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ» (الإسراء: ٩٣).

وَقَدْ سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةَ الزُّخْرُفِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا: « وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا».

وَهِيَ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، شَأْنُهَا شَأْنُ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، فِي الِاهْتِمَامِ بِتَرْسِيخِ الْعَقِيدَةِ، وَبَيَانِ أُصُولِ الدِّينِ،

إعداد/

د. عبد العظيم بدوي

وَأَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ رَكَّزَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ: التَّوْحِيدُ، وَالنُّبُوَّةُ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، لَكِنَّ الْمِحْوَرَ الْأَسَاسَ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ السُّورَةُ الْمُبَارَكَةُ هُوَ إِبْطَالُ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ، وَالْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ، الَّتِي سَادَتِ الْمُجْتَمَعَ الْجَاهِلِيَّ، وَاسْتَقَرَّتْ فِي نُفُوسِ الْمُشْرِكِينَ.

« وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ»: الْوَاوُ وَاوُ الْقَسَمِ، وَالْمُقْسِمُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمُقْسَمُ بِهِ هُوَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ. وَوَصَفَ الْكِتَابَ بِالْمُبِينِ لِأَنَّ أَلْفَاظَهُ وَاضِحَةٌ، وَمَعَانِيَهُ بَيِّنَةٌ، وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَ، كَمَا أَبَانَ بِهِ لِلنَّاسِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ» (الإسراء: ٩)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل: ٨٩)، وَقَالَ تَعَالَى: « مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ» (الأنعام: ٣٨).

« إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا»:

الْجَعْلُ هُنَا بِمَعْنَى الْإِنْزَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (يوسف: ٢). أَوْ بِمَعْنَى التَّسْمِيَةِ وَالْوَصْفِ، كَمَا يُقَالُ: جَعَلَ فُلَانٌ زَيْدًا أَعْلَمَ النَّاسِ. أَيْ سَمَّاهُ وَوَصَفَهُ بِكَوْنِهِ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ: «وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا»، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

«وَجعلُوا الْمَلَائكَةَ الَّذينَ هُمْ عبَادُ الرَّحْمَنِ إنَاثا» أيْ سَمُّوهُمْ وَوَصَفُوهُمْ.

وَقوْلُه تعَالَى: **«إنَّا جَعلْنَاهُ قُرْآنًا عَربيًا»** هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْه، وَهُوَ كَمَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ قسَمٌ بَديعٌ حَسَنٌ، حَيْثُ إنَّ الْمُقْسَمَ به هُوَ الْكتَابُ الْمُبينُ، وَالْمُقْسَمَ عَلَيْه هُوَ نَفْسُهُ الْكتَابُ الْمُبينُ، فهُوَ منَ الأقْسَام الْبَديعيَّة الْحَسَنَة. وَالْمَعْنَى: إنَّا أنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عربيًا لأنَّ الْمُرْسَلَ عَربيٌّ، وَالْمُرْسَل إلَيْهمْ عَرَبٌ، وَالْحكْمَةُ تقْتَضي أنْ يَكُونَ الرَّسُولُ منَ الْقَوْم الْمُرْسَل إلَيْهمْ، ليَكُونَ لسَانُهُ لسَانَهُمْ، فَيَفْهَمُوا عَنْهُ مَا يَدْعُوهُمْ إلَيْه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» (إبراهيم: ٤)، وَقدْ سَبَق في سُورَة فُصلَتْ قوْلُه تَعَالَى: «وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ» (فصلت: ٤٤).

وَالْحكْمَةُ منْ جَعْل الْقُرْآن عَربيًّا هيَ: **«لَعَلَّكُمْ تَعْقلُونَ»** وَتَفْهَمُونَ. وَفي هَذَا تَعْريضٌ بتَوْبيخهمْ عَلَى عَدَم تَدَبُّرهمْ للْقُرْآن، وَعَدَم فَهْمهمْ لَهُ، مَعَ أنَّهُ بلسَانهمْ، فَكَانُوا أوْلَى منْ غَيْرهمْ بتَدَبُّره وَفَهْمه، وَلَكنَّ الأمْرَ كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى في أوَّل سُورَة فُصلَتْ: «حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ② كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ» (فصلت: ١- ٥).

«وَإنَّهُ» أي الْقُرْآنُ «في أمِّ الْكتَاب لَدَيْنَا» أيْ عنْدَنَا، وَأمُّ الْكتَاب اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ㉑ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ» (البروج: ٢١- ٢٢)، «لَعليٌّ حَكيمٌ» هَذَان وَصْفَان وَصَفَ اللَّه تَعَالَى بهمَا الْقُرْآنَ الْكَريمَ إشَادَةً به، وَتَنْويهًا بعُلُوِّ شَرَفه، وَزيَادَةً في تَوْبيخ الَّذينَ كَذَّبُوا به.

«أفَنَضْربُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرفينَ»: يَقُولُ اللَّه تَعَالَى للْمُشْركينَ، الْمُكَذّبينَ بالْكتَاب الْمُبين: ألكَوْنكمْ قَوْمًا مُسْرفينَ عَلَى أنْفُسهمْ في الْكُفْر وَالْمَعَاصي، نُعْرضُ عَنْكُمْ، وَنَمْنَعُ نُزُولَ الْقُرْآن عَلَيْكُمْ، فَلَا نُذَكّرُكُمْ، وَلَا نُرْشدُكُمْ، وَلَا نَأمُرُكُمْ، وَلَا نَنْهَاكُمْ؟! بَلَى! سَوْفَ نَسْتَمرُّ في تَنْزيل الْكتَاب عَلَى نَبيّنَا ليُنْذرَكُمْ به، «لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ» (الأنفال: ٤٢)، وَ«لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ» (النساء: ١٦٥).

عَنْ قَتَادَةَ -رحمه الله-: **«أفَنَضْربُ عَنكُمُ الذّكْرَ صَفْحًا أن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرفينَ»**: أيْ مُشْركينَ، وَاللَّه لَوْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ رُفعَ حينَ رَدَّهُ أوَائلُ هَذه الأمَّة لَهَلَكُوا، فَدَعَاهُمْ إلَيْه عشْرينَ سَنَةً، أوْ مَا شَاءَ اللَّه منْ ذَلكَ. (جامع البيان(٢٥/ ٤٩)).

«وَكَمْ أرْسَلْنَا من نَّبيٍّ في الأوَّلينَ» هَذَا السُّؤَال للتَّكْثير، وَقَدْ صَرَّحَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بعَدَد الأنْبيَاء وَالْمُرْسَلينَ، فَفي الْحَديث:

عَنْ أبي أمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبيَّ الله! أيُّ الأنْبيَاء أوَّلُ؟ قَالَ: (آدَمُ)، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبيَّ الله! أوَ نَبيٌّ كَانَ آدم؟ قَالَ: نَعَمْ، نَبيٌّ مُكَلَّمٌ، خَلَقَهُ اللَّه بيَده، ثُمَّ نَفَخَ فيه منْ رُوحه، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ قُبُلًا قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله! كَمْ وَفى عَدَدُ الأنْبيَاء؟ قَالَ: ((مائَةُ ألْف وَأرْبَعَةٌ وَعشْرُونَ ألْفًا، الرُّسُلُ منْ ذَلكَ ثَلَاثمائَة وَخَمْسَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفيرًا)). (أخرجه ابن حبان (٢٠٨٥)، والطبراني (١٣٩/٨و٧٥٤٥/١٤٠) بسند صحيح).

وَعَلَى الرَّغْم منْ كَثْرَة هَذَا الْعَدَد إلَّا أنَّ مَوْقفَ الأمَم منَ الرُّسُل كَانَ وَاحدًا، وَهُوَ تَكْذيبُ الرُّسُل وَالاسْتهْزَاءُ بهمْ، وَكَانَت النَّتيجَةُ وَاحدَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ» (المؤمنون: ٤٤)، وَلهَذَا قَالَ هُنَا: **«وَمَا يَأتيهم مّن نَّبيٍّ إلَّا كَانُوا به يَسْتَهْزئُونَ (٧) فَأهْلَكْنَا أشَدَّ منْهُم بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأوَّلينَ»**.

وَفي هَذَا الْخَبَر تَسْليَةٌ لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم عَلَى أذَى قَوْمه لَهُ، وَتَكْذيبهمْ إيَّاهُ، وَفيه وَعيدٌ لَهُمْ وَتَحْذيرٌ، بأنَّهُمْ إنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ، وَيُؤْمنُوا بالرَّسُول صلى الله عليه وسلم، وَيَتَّبعُوا مَا أُنْزلَ إلَيْهمْ منْ رَبّهمْ، فَإنَّ اللَّه سَيُهْلكُهُمْ، وَيَنْصُرُ رَسُولَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، كَمَا فَعَلَ بالرُّسُل وَأقْوَامهمْ وَأتْبَاعهمْ، وَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَهُمْ أشَدَّ منْهُمْ قُوَّةً وَأكْثَرَ جَمْعًا، فَلْيَحْذَرُوا أنْ يُصيبَهُمْ مثْلُ مَا أصَابَ الَّذينَ منْ قَبْلهمْ.

قَالَ تَعَالَى: «فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا» (فاطر: ٤٤)، وَقَالَ تَعَالَى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ㉑ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ

ٱلْعِقَابِ » (غافر: ٢١- ٢٢)، وَقَالَ تَعَالَى: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا » (محمد: ١٠)، وَقَال تَعَالَى: « وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ » (محمد: ١٣)، وَقَالَ تَعَالَى: « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ⑦ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ⑧ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ⑩ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ⑪ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ⑫ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ » (الفجر: ٦- ١٤)، وَفَصَّل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْقَمَرِ نَبَأَ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَام، ثُمَّ خَاطَبَ كُفَّارَ قُرَيْش بِقَوله: « أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ㊸ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ㊹ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ㊺ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ » (القمر: ٤٣- ٤٦).

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ تَوْحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ:

« وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ »:

كَانَ الْمُشْرِكُونَ مُوَحِّدِينَ اللهَ تَعَالَى بِأَفْعَالِه، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكًا فِي الْخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالتَّدْبِير، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ㉑ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ㉒ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » (العنكبوت: ٦١- ٦٣)، وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّة، فَأَعْلَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ يَسْتَلْزِمُ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّة، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَى بِأَفْعَالِ عِبَادِه، فَكَمَا أَنَّهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِه، وَإِلَى هَذَا الْإِشَارَةُ بِالْعُدُولِ عَنْ قَوْلِهِمْ «اللهُ» إِلَى « خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» وَالْعَزِيزُ الْعَلِيمُ هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَلَيْسَ ذِكْرُ الصِّفَتَيْنِ الْعَلِيَّتَيْنِ مِنْ مَقُولِ جَوَابِهِمْ، وَإِنَّمَا حُكِيَ قَوْلُهُمْ بِالْمَعْنَى، أَيْ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الَّذِي الصِّفَتَانِ مِنْ صِفَاتِه، وَإِنَّمَا هُمْ يَقُولُونَ: خَلَقَهُنَّ اللهُ، كَمَا حُكِيَ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ » (لقمان: ٢٥) وَذَلِكَ هُوَ الْمُسْتَقْرَى مِنْ كَلَامِهِمْ نَثْرًا وَشِعْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَإِنَّمَا عَدَلَ عَن اسْمِ الْعَلَيِّ إِلَى الصِّفَتَيْنِ زِيَادَةً فِي إِفْحَامِهِمْ بِأَنَّ الَّذِي انْصَرَفُوا عَنْ تَوْحِيدِه بِالْعِبَادَةِ عَزِيزٌ عَلِيمٌ، فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَرْجُوَهُ النَّاسُ لِلشَّدَائِدِ لِعِزَّتِه، وَأَنْ يُخْلِصُوا لَهُ بَاطِنَهُمْ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْه سِرُّهُمْ، بِخِلَافِ شُرَكَائِهِمْ فَإِنَّهَا أَذِلَّةٌ لَا تَعْلَمُ، وَإِنَّهُمْ لَا يُنَازِعُونَ وَصْفَهُ بِالْعَزِيزِ الْعَلِيم.

وَتَخْصِيصُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لِأَنَّهَا مُضَادَّةٌ لِصِفَاتِ الْأَصْنَامِ، فَإِنَّ الْأَصْنَامَ عَاجِزَةٌ عَنْ دَفْعِ الْأَيْدِي. (التحرير والتنوير (٢٥/ ١٦٨)).

وَقَالَ تَعَالَى: « قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ㉛ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ » (يونس: ٣١- ٣٢):

قَالَ ابْنُ كَثِير-رَحِمَهُ اللهُ-: « فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» أَيْ أَفَلَا تَخَافُونَ مِنْهُ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ بِآرَائِكُمْ وَجَهْلِكُمْ. وَقَوْلُهُ: « فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ» أَيْ فَهَذَا الَّذِي اعْتَرَفْتُمْ بِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَهُكُمُ الْحَقُّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ، « فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» أَيْ فَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، « فَأَنَّى تُصْرَفُونَ» أَيْ فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِه إِلَى عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. (تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٦)).

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَبَيَانِه وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لَه.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَرِّرُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ، فَيَجْعَلُ الْأَوَّلَ دَلِيلًا عَلَى الثَّانِي، إِذْ كَانُوا يُسَلِّمُونَ الْأَوَّلَ، وَيُنَازِعُونَ فِي الثَّانِي، فَيُبَيِّنُ لَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي الْعِبَادَ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلِمَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَتَجْعَلُونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى؟

كَقَوْلِه تَعَالَى: « قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ㊾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ» (النمل: ٥٩- ٦٤).

يقولُ اللهُ تعَالى في آخرِ كُل آيَة: «أإلَـهٌ مَعَ اللـه» أيْ أءلَهٌ مَعَ اللَّه فعَلَ هَذا؟ وَ هَذا استِفْهَامُ إنْكَار، يَتضَمَّنُ نَفْيَ ذَلكَ، وَهُمْ كَانُوا مُقرِّينَ بأنَّه لَم يَفْعلْ ذلك غَيْرُ اللَّه، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بذلكَ، وَلَيْسَ المَعْنَى اسْتِفْهَامَ: هَلْ مَعَ اللَّه إلهٌ؟ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُهُمْ، لأنَّ هَذَا المَعْنَى لا يُنَاسِبُ سِيَاقَ الْكَلام، وَالْقَوْمُ كَانُوا يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّه آلهَةً أُخرَى كمَا قَالَ تعَالى: «أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ» (الأنعام: ١٩)، وكَانُوا يَقُولُونَ: «أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ» (ص: ٥)، لَكنَّهُمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّ مَعَهُ إلَهًا جَعَلَ الأرْضَ قَرَارًا، وَجَعَلَ خَلالَهَا أَنْهَارًا، وَجَعَلَ لهَا رَوَاسيَ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرينِ حَاجزًا. بَلْ هُمْ مُقرُّونَ بأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ فعَلَ هَذَا، وَهَكَذَا سَائرُ الآيَات.

وَكَذَلكَ قَوْلُه تَعَالَى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ» (البقرة: ٢١- ٢٢). (شرح الطحاوية (٨٤)).

«الَّذي جَعَلَ لكُمُ الأرْضَ مَهْدَا»:

هَذَا كَلَامٌ مُوَجَّهٌ مِنَ اللَّه تَعَالَى، هُوَ تخَلُّصٌ منَ الاسْتدْلال عَلَى تفَرُّده بالإلهيَّة بِأنَّهُ المُنْفَردُ بخلْق السَّمَاوَات وَالأرْض، إلَى الاسْتَدْلال بأَنَّه المُنْفردُ بإسْداء النِّعَم الَّتِي بهَا قوَامُ أوَد حَيَاة النَّاس. فَالجُمْلَةُ اسْتئْنَافٌ حُذفَ منْهَا المُبْتَدأ، وَالتَّقْديرُ: هُوَ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الأرْض مهادًا. (التحرير والتنوير (٢٥/١٦٨و١٦٩)). أيْ فرَاشًا كالمَهْد للصَّبيِّ، وَلَوْ شاءَ لجَعَلَهَا مَزَلَّةً لا يَثْبُتُ فيهَا شَيْءٌ، كَمَا تَرَوْنَ منْ بَعْض الجبَال، وَلَوْ شَاءَ لجَعَلَهَا مُتَحَرِّكَةً فَلا يُمْكنُ الانْتفَاعُ بهَا في الزَّرَاعَة وَالأبْنيَة، فَالانْتفَاعُ بهَا إنَّمَا حَصَلَ لكَوْنهَا مُسَطَّحَةً قَارَّةً سَاكنَةً (فتح البيان (٦/ ٢٢٠))، وَقَد امْتَنَّ سُبْحَانَهُ عَلَى عبَاده بذلك، فقَالَ: «أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا (٦) وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا» (النبأ: ٦- ٧).

«وَجَعَلَ لكُمْ فيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»:

السُّبُلُ: جَمْعُ سَبيلٍ، وَهُوَ الطَّريقُ، وَيُطلقُ السَّبيلُ عَلى وَسيلَة الشَّيْء، كَقَوْله تَعَالَى: «يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ» (الشورى: ٤٤). وَيَصحُّ إرَادَةُ المَعْنَيَيْن هُنَا، لأنَّ في الأرْض طُرُقًا يُمْكنُ سُلُوكُهَا، وَهيَ السُّهُولُ وَسُفُوحُ الجبَال وَشعَابُهَا، أيْ لَم يَجْعَل الأرْضَ كُلَّهَا جبَالا فيَعْسُرَ عَلَى المَاشينَ سُلُوكُهَا، بَلْ جَعَلَ فيهَا سُبُلاً سَهْلَةً، وَجَعَلَ جبَالا لحكْمَة أُخْرَى، وَلأنَّ الأرْضَ صَالحَةٌ لاتخَاذ طُرُق مَطرُوقَة سَابلَة.

وَمَعنى جعل الله تلك الطرُقَ بهَذا المَعْنَى: أنَّه جَعَلَ للنَّاس مَعْرفَةَ السَّيْر في الأرْض، وَاتِّبَاعَ بَعْضهمْ آثَارَ بَعْض، حَتَّى تَتعَبَّدَ الطُّرُقُ لَهُمْ وَتَتَسَهَّلَ، وَيَعْلَمَ السَّائرُ أيَّ تلْكَ السُّبُل تُوصلُهُ إلَى مَقْصده.

وَفي تَيْسير وَسَائل السَّيْر في الأرْض لُطْفٌ عَظيمٌ، لأنَّ به تَيْسيرَ التَّجَمُّع وَالتَّعَارُف، وَاجْتلابَ المَنَافع، وَالاسْتعَانَةَ عَلَى دَفْع الغَوَائل وَالأضْرَار، وَالسَّيْرُ في الأرْض قريبًا أوْ بَعيدًا منْ أكْبَر مَظَاهر المَدَنيَّة الإنْسَانيَّة، وَلأَنَّ اللَّه جَعَل في الأرْض مَعَايشَ النَّاس، منَ النَّبَات وَالثَّمَر، وَوَرَق الشَّجَر، وَالكَمْأَة وَالفَقْع، وَهيَ وَسَائلُ العَيْش، فَهيَ سُبُلٌ مَجَازيَّةٌ.

وَالاهْتدَاءُ: مُطَاوعُ هَدَاهُ فَاهْتَدَى. وَ الْهدَايَةُ حَقيقَتُهَا: الدَّلالَةُ عَلَى المَكَان المَقْصُود، وَمنْهُ سُمِّيَ الدَّالُّ عَلَى الطَّرَائق هَاديًا، وَتطْلَقُ عَلَى تَعْريف الحَقَائق المَطْلُوبَة، وَمنْهُ «إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ» (المَائدَة: ٤٤)، وَالمَقْصُودُ هُنَا المَعْنَى الثَّاني، أيْ رَجَاءَ حُصُول علْمكُمْ بوَحْدَانيَّة اللَّه وَبمَا يَجبُ لَهُ. وَلذلكَ لمَا سَأَلَ فرْعَوْنُ مُوسَى عَنْ رَبِّه: «قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ» (طه: ٤٩- ٥٤)، أيْ لأولي الأحْلام وَالنُّهَى، «لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ» (آل عمران: ١٩٠- ١٩١).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

التمويل بالتورق

الحلقة الثامنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

لا يزال الحديث متصلاً عن التمويل بالتورق، وكنا قد تحدثنا سابقًا عن حكم التورق في المذاهب الفقهية، وبدأنا الحديث عن مناقشة تلك الآراء والترجيح بينها، ونكمل في هذا العدد - بعون الله تعالى- فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ **د. علي السالوس**

وقبيل أن ننتهي من هذا البحث نذكر شيئًا مما جاء في أبحاث المبيحين لهذا التورق، والمدافعين عنه، نتبعه بقرار لمجمع الرابطة وآخر لمجمع المنظمة.

قال فضيلة الشيخ عبد الله المنيع رئيس هيئة الرقابة الشرعية التي أباحت تيسير الأهلي: إذا كان الغرض من التورق إطفاء مديونية سابقة للبائع على المشتري، فهذا ما يسمى بقلب الدين على المدين، وقد أفتى مجموعة من أهل العلم بمنع ذلك لما يفضي إليه من نتيجة ما يفضي إليه المسلك الجاهلي من أخذهم بمقتضى أتربي أم تقضي؟ (ص: ١٧).

وذكر بعض أقوال القائلين بالتحريم، ثم قال: ويمكن أن يخص هذا الحكم بقلب الدين على المدين المعسر. أما إذا كان الدين على مليء، إلا أنه في حاجة للاستزادة من التمويل لتوسيع نشاطه الاستثماري، فهذا الحال محل نظر واجتهاد.

وقد أجاز هذه الصورة مجموعة من الهيئات الرقابية الشرعية للمؤسسات المالية لانتفاء المحاذير الشرعية من الاضطرار واستغلال الضعف والحاجة، ولانتفاء صورة الربا وحقيقته (ص: ١٨).

وقال في موضع آخر: نظرًا إلى أن القصد هو التحول من التعامل مع البنوك الربوية إلى البنوك الإسلامية، وأن في الأخذ بالتورق طريقًا للتخلص من هذه البنوك الربوية ومديونياتها، فقد لا يظهر لي مانع من الأخذ بالتورق للتخلص من هذه الديون الربوية، والتمكن من الانتقال عنها إلى المؤسسات الإسلامية، وقد يكون من تبرير ذلك الأخذ بقاعدة: ارتكاب أدنى المفسدتين لتفويت أعلاهما. (ص:١٧-١٨).

وقال الدكتور محمد القري عضو هذه الهيئة: صفة قلب الدين الممنوعة إنما هي متعلقة بالمعسر الذي أمرنا بإنظاره إلى الميسرة. أما الموسر القادر على الوفاء فالدخول معه في معاملات جديدة يترتب عليها دين ليس من قلب الدين الممنوع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: وأما إذا حل الدين وكان الغريم معسرًا لم يجز بإجماع المسلمين أن يقلب بالقلب، بل يجب إنظاره. (ص:١٧-١٨).

والدكتور محمد الشريف ليس عضوًا في الهيئة، غير أنه ممن أباح التمويل بالتورق كتيسير الأهلي وغيره، وقال: وهذه العملية لا أظن أحدًا من العلماء يخالف في مشروعيتها، ما عدا البعض

الذين يشترطون عدم التواطؤ بين البائع والمشتري في أيلولة السلعة إلى المشتري عن طريق وسيط، وهو النوع الذي كرهه عمر بن عبد العزيز، ومحمد بن الحسن، وحرمه ابن تيمية وابن القيم. (ص:١٧-١٨).

(حتى يستقيم القول نقول: أيلولة السلعة إلى البائع وليس إلى المشتري).

ونلاحظ هنا ما يأتي:

- القول بأن الربا المحرم هو ما كان مرتبطا بالحاجة والفقر والإعسار، أما التعامل بالربا مع غني فهو جائز، هذا القول هو المرتكز الرئيس الذي اعتمد عليه المبيحون لفوائد البنوك الربوية. وقد رد عليهم الكثيرون، وأبطلوا حججهم، فهي حجج داحضة. وفي أكثر من مقال وكتاب أثبت أن هؤلاء لا يعرفون ربا الجاهلية، ولا يفقهون النصوص، ولا أريد أن أكرر ما ذكرته خلال ربع قرن.
- إما أن تقضي وإما أن تربي، هذا أسوأ من ربا الجاهلية المحرم يقينًا بالكتاب والسنة والإجماع، والمعلوم من الدين بالضرورة ولا أعلم أحدًا من علماء الأمة في تاريخ الإسلام كله أحل هذا الربا، سواء أكان التعامل مع غني أم فقير.

ولا أدري كيف اجترأ بعض المعاصرين على تحليل هذا الحرام البين؟! قول الشيخ المنيع بأن قلب الدين؛ أي إما أن تقضي وإما أن تربي، إذا كان المدين في حاجة للاستزادة، من التمويل لتوسيع نشاطه الاستثماري، انتفت المحاذير الشرعية من الاضطرار واستغلال الضعف والحاجة، وانتفت صورة الربا وحقيقته، هذا القول أرجو فضيلته أن يعيد النظر فيه، فلو جاز هذا لجاز من باب أولى البدء بالاقتراض من البنوك الربوية للمشروعات الإنتاجية والاستثمارية، ولو انتفت صورة الربا وحقيقته في الفوائد المركبة؛ إما أن تقضي وإما أن تربي، لما أصبح له وجود في الفوائد البسيطة المتفق عليها بالتراضي منذ البداية؟!

قال الجصاص: «معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضًا مؤجلًا بزيادة مشروطة، على ما يتراضون به، فكانت الزيادة بدلًا من الأجل، فأبطله الله تعالى وحرمه»، وهذا القول إما أن نقول بأنه نسخ، نسخه هيئات الرقابة الشرعية التي أباحت تيسير الأهلي وغيره، أو نقول قد بدا لله تعالى فيه بداء فعاد ولم يبطله ويحرمه!! سبحانك ربي سبحانك.

وقول فضيلته: وقد يكون من تبرير ذلك الأخذ بقاعدة: ارتكاب أدنى المفسدتين لتفويت أعلاهما، هذا القول إذا طبقناه في حالتنا لكان مفسدة ارتكاب الربا البسيط أدنى من مفسدة الربا المركب، أي أن الاقتراض من البنوك الربوية أدنى من قلب الدين الذي تقوم به الفروع المسماة بالإسلامية، والكل يأذن بحرب من الله ورسوله.

وقول فضيلته فيمن عارضه: وقد وجد من بعض فقهاء عصرنا هاجس، ويظهر لي أنه هاجس وسواس، وإن اعتقد أهله أنه هاجس تقوى وورع، هذا القول يعتبر تحولًا خطيرًا في حياة فضيلته بحسب علمي، فقد كان في بدء تشرفي بمعرفته منذ أكثر من عشرين عامًا فيما أظن، وكنا في البداية يتفق كل منا مع الآخر، ولا نخالف قرارات المجامع الفقهية، ثم تحول إلى تحليل ما تراه المجامع، من الحرام البين كغرامات التأخير، والتأمين التجاري غير الإسلامي، وأحكام الذهب وغير ذلك، ثم فوجئت بهذا التحول الأخير لأول مرة، فما كان يسيء إلى أي أحد مهما عارضه واختلف معه، وقوله

من بعض... غير صحيح كما يتضح من قرارات المجامع، وأقوال وكتابات فقهاء العصر.

وإذا كان هؤلاء اتبعوا الكتاب والسنة والإجماع، وما نقلناه من أقوال الأئمة الأعلام، فمن أين جاءهم الهاجس الوسواس؟

أرجو فضيلته أن يعيد النظر في هذه العبارة الجارحة.

أما الدكتور القري الذي وافق فضيلة الشيخ المنيع في أن قلب الدين الممنوع هو ما كان مع المعسر فقط دون الموسر فقد استدل بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية!!

ولا أدري كيف ينسب لشيخ الإسلام إباحة الربا مع الموسرين فضلاً عن قلب الدين؟

وما نقلناه من قبل يبين أنه من أشد الناس تحريمًا للربا وحيله، ولكن لنرجع إلى ما رجع إليه الدكتور القري، وهو لم يذكر موضعه من الفتاوى، فبحثت ووجدت النقل من (ص: ٤١٩) في الجزء التاسع والعشرين، قال ابن تيمية: «وأما إذا حل الدين وكان الغريم معسرًا؛ لم يجز بإجماع المسلمين أن يقلب بالقلب، لا بمعاملة ولا غيرها، بل يجب إنظاره».

ووقف الدكتور القري عند هذا النقل، وحذف «لا بمعاملة ولا غيرها»، وهو ينطبق على التورق.

والاستدلال بهذا القول على جواز قلب الدين لغير المعسر غير صحيح؛ فهذا استدلال بمفهوم المخالفة، وهو غير جائز هنا.

ثم لماذا نلجأ إلى الاستدلال بالمفهوم، والأسطر التالية للمنقول فيها بيان لحالة اليسر؟

جاء بعد النقل السابق مباشرة ما يأتي: وإن كان موسرًا كان عليه الوفاء، فلا حاجة إلى القلب، لا مع يساره، ولا مع إعساره، والواجب على ولاة الأمور بعد تعزير المتعاملين بالمعاملة الربوية: أن يأمروا المدين أن يؤدي رأس المال، ويسقطوا الزيادة الربوية، فإن كان معسرًا وله مغلات يوفي منها، وفي دينه منها بحسب الإمكان. والله أعلم.

فهل قول ابن تيمية يدل على أنه يجيز قلب الدين؟!

وإن تعجب فعجب ما جاء في بحث الدكتور الشريف!

فبعد أن اتهم الصحابة الكرام، والسلف الصالح ونسب إليهم التعامل بالحيل، كالعينة والتورق، كما أشرت في ثنايا البحث، وأثبت أنا تنزيههم عن هذه الحيل الربوية، جاء هنا لينسب لعلماء العصر خلاف ما يرونه، ولم ينس الإشارة إلى السلف الصالح، ليقول خلاف ما ثبت عنهم، فمن ذكرهم وغيرهم يرون عدم جواز التورق فضلاً عن العينة: فقوله في التمويل بالتورق مثل تيسير الأهلي وغيره بأن جميع العلماء يرون مشروعيته وإن أدى إلى تواطؤ على العينة ما عدا البعض الذين يشترطون عدم التواطؤ، هذا القول بعيد كل البعد عن الصواب، فقرارات المجامع بينت أن هذا من الربا المحرم.

فمجمع المنظمة في دورته الأخيرة بمسقط في المحرم سنة ١٤٢٥هـ دعا المؤسسات المالية الإسلامية أن تتجنب شبهات الربا، أو الذرائع التي تؤدي إليه، وضرب مثلاً لذلك بفسخ الدين بالدين.

ومجمع الرابطة بحث موضوع التورق كما تجريه بعض المصارف في الوقت الحاضر في دورته السابعة عشرة سنة ١٤٢٤هـ، وقرر عدم جواز هذا التورق، وأوصى المصارف الإسلامية بعدم اللجوء إلى معاملات صورية تؤول إلى كونها تمويلاً محضًا بزيادة ترجع إلى الممول.

والي لقاء آخر إن شاء الله.

باب السنة

من آداب المفتي والمستفتي

إعداد/ **د. مرزوق محمد مرزوق**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد: فإنه لما انتشر في هذه الأيام هجمة شرسة على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم كان ذلك أكبر داع إلى الكلام حول حديثنا هذا الذي اختاره إمام المحدثين وكبير المحققين أمير المؤمنين في الحديث أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري؛ اختاره ليكون أول حديث في كتاب العلم، ومناسبة اختيارنا لهذا الحديث هو اعتقادي أن أول مراتب العلاج هو تشخيص الداء، ولا يمكن أن يوصف متجرئ على رسول الإسلام وخير الأنام إلا أنه جاهل بآخرته فضلاً عن دنياه، وأنه لا يعلم ألا سعادة له في الدارين - الدنيا والآخرة - إلا بمتابعته واقتفاء هديه والدعوة إلى ذلك فكان لابد من العلم ليس هذا فحسب، بل ولا بد أن نعرف جميعا أن واجب الدفاع عن نبينا صلى الله عليه وسلم في مواجهة هؤلاء المتجرئين بشتى وسائلهم- جهارا أو إسراراً أو رضاً بهذه الجرأة- صار متعينا، وقد اخترت لنفسي - قناعة - أن تعليم هؤلاء هو عين النصح لهم والدفاع عن نبينا صلى الله عليه وسلم فبدأت بما بدأ به شيخ المحدثين إمام المسندين الإمام البخاري - المفترى عليه - رحمه الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي مَجْلِس يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْم: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إذَا قَضَى حَديثَهُ، قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائلُ عَنْ السَّاعَة؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِه فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ".

تخريج الحديث من الكتب الستة:

هذا الحديث الشريف تفرد به إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري عن باقي أصحاب الكتب الستة:

١- رواه في كتاب العلم باب مَنْ سُئل علْمًا وَهُوَ مُشْتَغلٌ في حَديثه فأَتَمَّ الْحَديثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائلَ(٥٩) (٢١/١) بإسنادين:

- قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سنَان قَالَ حَدَّثَنَا فُلَيْح (ح).
- وحَدَّثَني إبْرَاهيمُ بْنُ الْمُنْذر قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْح قَالَ حَدَّثَني أَبي قَالَ حَدَّثَني هلَالُ بْنُ عَليٍّ عَنْ عَطَاء بْنِ يَسَار عن أبي هريرة به.

٢- ورواه في كتاب الرقاق باب رفع الأمانة (٦٤٩٦)(١٠٤/٨) بالإسناد الأعلى قال: حدثني محمد بن سنان، قال: حدثني فليح قال حدثني هلال بن علي عن عطاء بن

يسار عن أبي هريرة به بلفظ (إذا أسند) بدلاً من (إذا وسد) ومعناهما واحد.

فائدة: في غالب النسخ قبل قوله وحدثني إبراهيم بن المنذر صورة (ح) وهي حاء مهملة مفردة ومعناها واحد مما يأتي:

- مأخوذة من (التحول) لتحوله من إسناد إلى آخر، ويقول القارئ إذا انتهى إليها «حا» ويستمر في قراءة ما بعدها.
- وقيل إنها من (حـال) بين الشيئين إذا حجز لكونها حالة بين الإسنادين، وأنه لا يلفظ عند الانتهاء إليها بشيء.
- وقيل إنها رمز إلى قوله (الحديث) وأهل المغرب إذا وصلوا إليها يقولون: الحديث.
- وقد كتب جماعة عن حفاظ عراق العجم موضعها «صح» فيشعر بأنها رمز صحيح وحسن لئلا يتوهم أنه سقط متن الإسناد الأول (ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢ /٣٧٨).

بيان رجاله من تقريب التهذيب

١- محمد بن سنان: ثقة ثبت (التقريب (ص ٤٨٢)).

٢- فليح بن سليمان: صدوق كثير الخطأ (التقريب (ص ٤٤٨)).

رد شبهة عن رواية الإمام البخاري لفليح رحمه الله: حكم بعض الناس على فليح بالضعف، ومع هذا أخرج له البخاري في الصحيح. فلماذا أخرج له؟

والجواب: كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤٢/١) دفاعا عن ذلك: صدوق تكلم بعض الأئمة في حفظه، ولم يُخرج البخاري من حديثه في الأحكام إلا ما توبع عليه، وأخرج له في المواعظ والآداب وما شاكلها طائفة من أفراده وهذا منها. (فتح الباري - ابن حجر: ١ /١٤٢).

٣- إبراهيم بن المنذر: صدوق تكلم فيه أحمد لأجل القرآن (تقريب التهذيب (ص ٩٤)).

فائدة: روى له البخاري مع أن أحمد تكلم فيه، وذلك لأن كلام أحمد كان لأجل أن الرجل وقع في بدعة خلق القرآن، ومذهب جمهور المحدثين أن الثقة إذا روى ما لا يتعلق ببدعته يقبل كلامه كما بيناه مفصلاً في أعداد سابقة بباب السنة.

٤- محمد بن فليح: صدوق يهم (التقريب: ص ٥٠٢)).

فائدة: رواه البخاري عاليا من غير طريق محمد بن فليح كما هو واضح فلا إشكال في كون محمد بن فليح يهم.

٥- هلال بن علي: ويقال له هلال بن أبي ميمونة، ويقال له هلال بن أبي هلال، ويقال له هلال بن أسامة نسبة إلى جده، وقد يظن أنهم أربعة والكل واحد: ثقة (تقريب التهذيب (٢ /٢٧٣))(وانظر الفتح ١٤٢/١).

٦- عطاء بن يسار: ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة (تقريب التهذيب (ص ٣٩٢)).

أبو هريرة الصحابي الجليل.

فائدة تربوية مأخوذة من الإسناد: وراثة الأبناء للآباء.

نجد في هذا الإسناد قول محمد بن فليح: حدثني أبي أي أنه ورث الحديث عن أبيه وهذا كثير في أخبار السلف، فهذا الإمام أحمد بن حنبل، أولاده علماء: عبد الله، وصالح. وأبو حاتم الرازي ابنه عبد الرحمن بن أبي حاتم، وغيرهم كثير، ونحن نسأل: أين أمثال هؤلاء الآن؟ إن ضياع مثل هذا النمط من حياتنا له أسباب كثيرة، من أهم هذه الأسباب باختصار من وجهة نظري هو غياب القدوة من العلماء الربانيين الذين يتدينون بعلمهم.. إننا بحاجة أن ننطلق في نصرة هذا الدين مثلما فعل أسلافنا رحمهم الله ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

صحة الحديث:

أما عن صحة الحديث فهو صحيح

> كثيرا ما نجد في أخبار السلف وراثة الأبناء لآبائهم في العلم والدعوة إليه ، ونحن نسأل: ما السبب وراء غياب هذه الظاهرة الفريدة في عصرنا الحالي؟! إننا بحاجة أن ننطلق في نصرة هذا الدين مثلما فعل أسلافنا رحمهم الله، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

بشهادة شيخ المحدثين البخاري الذي انتقى من أحاديث فليح ما اطمأن إليه، وتوفرت فيه شروط الصحيح فلا يعترض معترض على فليح، وقد قال الحافظ في هدي الساري مقدمة فتح الباري ص:٤٣٥ بعدما نقل اختلاف العلماء في فليح: وهو عندي لا بأس به. قلت: لم يعتمد عليه البخاري اعتماده على مالك وابن عيينة وأضرابهما، وإنما أخرج له أحاديث أكثرها في المناقب وبعضها في الرقاق) ا.هـ وهذا الحديث من هذا القبيل.

حول هذا الحديث

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث، ثم أجاب السائل ثم ذكر الحديث، وهذا هو الباب الثاني من كتاب العلم للإمام البخاري، وقد افتتح هذا الكتاب بقوله: (باب فضل العلم) واكتفى فيه بذكر قول الله تعالى: «يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ «رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»)، ليرغبنا أن نكون من هؤلاء أو نَتشبه بهم ثم عقد لنا الإمام البخاري هذا الباب الذي نحن بصدده وبدأه بهذا الحديث الذي اشتمل على قصة أعرابي جاء وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحدث الناس، فقطع عليه حديثه، وهذا فعل يُجتنب، فلا ينبغي أن يفعله طالب علم، والإمام البخاري عندما ذكر هذا الحديث إنما ذكره كنموذج؛ ليقول: إن أول شيء ينبغي أن يتحلى به طالب العلم هو تعلم الأدب، فلا ينبغي له أن يفعل كما فعل هذا الأعرابي، لذا ولأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة نجد أن النبي قد أدّب الأعرابي بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه ثم رجع إلى جوابه فرفق به ولم يزجره مراعاة لطبيعته، فدلنا بذلك على أن طالب العلم ينبغي أن يتحلى بآداب، كما أن الشيخ ينبغي أن يتحلى بآداب، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: حتى إذا قضى حديثه قال: (أين أراه السائل عن الساعة؟) قال: ها أنا يا رسول الله. قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة). وكان رجلاً عاقلاً مع طبيعته الجافية التي ذكرنا، فسأل سؤالاً آخر قال: (وكيف إضاعتها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة).

ما يستفاد من الحديث:

إن من أظهر ما يُستفاد من الحديث مما ذكره الحافظ في الفتح (١٤٢/١) هو التنبيه على أدب العالم والمتعلم، ومنها:

١- أن السائل لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره؛ لأن حق الأول مقدم عليه.

٢- وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح كما في قوله: كيف إضاعتها.

٣- وفيه مراعاة طبيعة السائل، فطريقة تأديب النبي ورفقه بالأعرابي على جفوته غير معاملته لأصحابه.

٤- وفيه وجوب تعليم السائل لقوله أين السائل ثم إخباره عن الذي سأل عنه.

وفيه جواز اتساع العالم في الجواب إذا كان ذلك لمعنى أو لمصلحة). اهـ. من الفتح بتصرف.

من علامات الساعة أن يوسد الأمر لغير أهله.

فائدة تبين فقه الإمام البخاري ودفاع عن هويتنا:

إن من فقه الإمام البخاري أن اختار هذا المتن لكتاب العلم؛ حيث إن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط، ومقتضاه أن العلم ما دام قائما ففي الأمر فسحة، وكأن المصنف أشار إلى أن العلم إنما يُؤخذ عن الأكابر تلميحا، لما روي عن أبي أمية الجمحي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (من أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر). لذا ودفاعًا عن هويتنا نقول: إن ما ظهر في هذه الأيام

إن من فقه الإمام البخاري أن استهل كتاب العلم بهذا الحديث؛ حيث إن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم فيتجرأ الجاهل على الدين كما هو واقع الآن.

الغابرة المتأخرة من هجوم على السنة النبوية من مجاهيل البشر إنما هو أمارة من أمارات الساعة، وإن من أقوم السبل وأقواها للتصدي لهذه الهجمة الشرسة —من وجهة نظري— هو تعلم العلم والعمل به، والدعوة إليه، فلا تضيع الأعمار في الردود والمناظرات؛ لأن مثل هذه المواجهات تفنى دونها الأعمار فقافلة الشياطين كبيرة ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا.

إن من أقوم السبل وأقواها للتصدي لهذه الهجمة الشرسة هو تعلم العلم والعمل به والدعوة إليه، فلا تضيع الأعمار في الردود والمناظرات؛ لأن مثل هذه المواجهات تفنى دونها الأعمار.

والشيء بالشيء يذكر، وردا على جرأة هؤلاء الأصاغر على الإمام البخاري نقول: إن ترتيب كتاب البخاري يدل على عمق علمه وفهمه، فقد افتتح كتابه الصحيح بكتاب بدء الوحي، وختم كتابه بكتاب التوحيد، فكأنه يريد أن يقول: من أراد أن يخرج من الدنيا على التوحيد فعليه بالوحي، وما بين بدء الوحي وكتاب التوحيد الإسلام كله، والوحي إما قرآنا أو سنة، وقد كانت السنة يوحى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثلما يُوحى إليه بالقرآن، لكن السنة من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم، وهو لا ينطق عن هوى نفسه عليه الصلاة والسلام، قال الله تبارك وتعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)(الأنفال:٢٤). فالخروج من الدنيا على التوحيد يكون بالوحيين، والفرق التي ضلت السبيل إلى الله، إنما سلكت سبيلاً آخر غير الوحي الذي هو القرآن والسنة.

لقد بدأ المخالفون للسنة يؤصلون من عندهم أصولاً ويطلقون الشبهات التي يردون بها شطر الوحي الذي هو السنة النبوية، والمفصل والمبين والشارح والناسخ أحيانا للشطر الآخر الذي هو القرآن، بل وقد يستقل ببعض الأحكام كما سبق أن بينت المجلة في باب السنة، في باب العقيدة وفي الافتتاحية فليراجع في مظانه.

فكان من جملة ما ألقوه من شبهات بل ومن أولها شبهة حكم العقل على صحة النص الشرعي، وهو ما امتلأت به الفضائيات ضجيجا وما صاح به الأصاغر مذهبا ورثوه عن أسلافهم من المعتزلة ومن تبعهم، إن تحكيم العقل عنوان براق يحترمه الجميع وينساقون خلفه، ونحن لا ننكر العقل بل نحترمه كما يفعلون، لكننا بهذا العقل نخاطبهم فنقول: أليس من العقل أن يتكلم المتخصص فيما تخصص فيه؟ أليس إذا مرض للواحد من هؤلاء مريض يذهب لمن تخصص في هذا المرض ليس فقط بل وينتقيه؟ ألا يذهب الواحد من هؤلاء، وهو يريد تشييد مبنى إلى من تخصص في هذا؟ بل وأتقنه؛ وإلى آخر هذا من هذه الأمثلة، فلماذا هان علينا ديننا فتكلم فيه وأفتى من يعلم ومن لا يعلم؟

نعم إن الدين للكل، ولكن كعقيدة، كتعلم للعمل، كسلوك لكن كفتوى لا يجوز لإنسان أن يفتي إلا إذا كان مؤهلاً، فإن الفتوى كما أفادنا ابن القيم -في كتابه: إعلام الموقعين عن رب العالمين-: إن المفتي يوقع عن رب العالمين، فمن يتحمل مسئولية الفتوى بغير علم؟!

يا قومنا: إنكم إذا اختلفتم معنا بعقولكم واختلفنا معكم بعقولنا فأي عقل من العقلين يحكم على الآخر؟ الجواب إذن لابد أن يكون هناك عقل سابق كبير يحكم بيننا نرجع إليه ونتفق عليه، ولا يكون ذلك إلا للنبي عليه الصلاة والسلام، فهل ترضون بالنبي صلى الله عليه وسلم بيننا حكما؟ فإن قلتم لا - ولاأظنكم تقولون ولا يخطر بذهني - لكن إن قلتم هذا فلا مجال للمناقشة، وإن قلتم نعم فها هي سنة نبيكم نقلها لكم العدول الضابطون من الأسلاف عن أمثالهم حتى وصلوا بسندهم إلى نبينا الذي آمنا به وارتضيناه نبيا معلما مبلغا عن رب العزة جل وعلا، فهل ترضون به أيها الكرام؟ وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٢٨)

إعداد/ علي حشيش

٢٩٤- « مَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَاءَةِ يس كُلَّ لَيْلَة ثُمَّ مَاتَ مَاتَ شَهِيدًا ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ح١٠١٠) من حديث أنس مرفوعًا وقال: «لم يروه عن الزهري إلا معمر، ولا عنه إلا رباح، تفرد به سعيد». اهـ. والحديث أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣٣٠/٢٤٤/٣) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن شهريار الأصبهاني، حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني به وقال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٩٧/٧): وفيه سعيد بن موسى الأزدي وهو كذاب.

٢٩٥ - « سَلِّمُوا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلا تُسَلِّمُوا عَلَى يَهُودِ أُمَّتِي »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ يَهُودُ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: « تَارِكُو الصَّلاةِ »

الحديث لا يصح: أورده الصاغاني في «الموضوعات» (ح٤٧) وقال: «موضوع» ووافقه العجلوني في «كشف الخفاء» (١٥٥/١) ونقل القاري في «الموضوعات الكبرى» (ص٢١٨) عن السيوطي أنه قال: «لم أقف عليه».

٢٩٦- «إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَسْتُرَ عَلَى عَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اراهُ ذُنُوبَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ غَفَرَهَا لَهُ ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الورع» (ح١٨٣) من حديث الحسن البصري مرفوعًا، وقال العراقي: «مراسيل الحسن عندهم شبه الريح». كذا في «التدريب» (٢٠٤/١).

وهناك علة أخرى: عبد الله بن عيسى البصري، قال الذهبي في «الميزان» (٤٤٩٦/٤٧٠/٢): «عبد الله بن عيسى أبو خلف الخزاز عن يونس بن عبيد، قال أبو زرعة منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة».

تنبيه: يُغني عن هذا الحديث المردود بالسقط في الإسناد والطعن في الراوي، الحديث الذي في أعلى درجات الصحة، حيث إنه متفق عليه، أخرجه البخاري (ح٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤)، ومسلم (ح٢٧٦٨)، من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِه، وَرَأَى فِي نَفْسِه أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِه، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ: الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». واللفظ للبخاري (ح٢٤٤١).

٢٩٧- « إذَا سَألتم الله فاسْألوه بِجَاهِي فَإِنَّ جَاهِي عِنْدَ اللهِ عَظِيم".

الحديث لا يصح: أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣١٩/١) وقال: هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث. اهـ.

٢٩٨- « لا تُقْتَلُ المَرْأَةُ إِذَا ارْتَدَّتْ ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الدارقطني في «السنن» (١١٧/٣) (ح٣١٧١) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وعلته عبد الله بن عيسى الجزري قال: الدارقطني: عبد الله بن عيسى هذا كذاب يضع الحديث على عفان وغيره، وهذا لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا رواه شعبة. اهـ.

٢٩٩- « مَنْ لَمْ يُدَاوِمْ عَلَى أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتِي ».

الحديث لا أصل له: أورده ابن عراق في «تبرئة الشريعة» (١٢٧/٢).

٣٠٠- « أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ »

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٧٣/٤) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي في «التلخيص» والحديث منكر، وفيه مساور الحميري وأمه أورده الذهبي في «الميزان» (٨٤٤٧/٩٥/٤) وقال: مساور الحميري عن أمه، عن أم سلمة فيه جهالة والخبر منكر رواه عنه أبو نصر عبد الله الضبي. اهـ. ومن هذا يتضح الفرق بين كتابي الحافظ الذهبي في «التلخيص»، و«الميزان»، فالتلخيص فيه أوهام كثيرة، منهم من يقول إنه تلخيص تكلم على بعض أحاديث المستدرك وسكت عن البعض، ولذلك يجب الرجوع إلى الكتابين معًا كما بينا آنفًا لأن بعض الأئمة يعتبر السكوت موافقة والأمر هين بالرجوع كما قلنا إلى «الميزان».

٣٠١- « عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل »

الحديث لا يصح: أورده السخاوي في المقاصد (ح٧٠٢) وقال: قال شيخنا يعني الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له، وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر، ونقله عنه العجلوني في «الكشف» (٨٣/٢) (ح١٧٤٤)، وكذا ابن الربيع في «التمييز» (ح٨٧١).

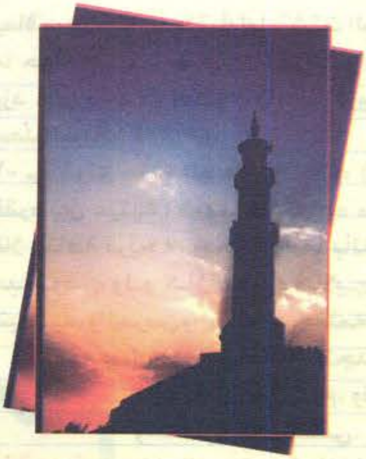

الهَمُّ الوحيدُ

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وحده، كاشف الهم مُزيل الغم مُفرج الكرب، والصلاة والسلام على من وحد الهم فأزيل الغم وجاء الفرج فتحولت المحن إلى منح...وبعد فالهموم كثيرة فعلى سبيل المثال هموم تحسين العبادة، وهموم الدعوة إلى الله تعالى وهموم بسبب الزوجة والأولاد والعمل والجيران والرزق والمستقبل.. وهموم بسبب الموت والقبر ويوم القيامة وأهواله وما بعده من نار أوجنة... هيا نبحث عن علاج واحد لتلك الهموم ونجعلها هما واحدا حتى لا نتشتت ونستريح.

تعريف الهَمُّ:

(الْهَمُّ) الْحُزْنُ وَالْجَمْعُ (الْهُمُومُ) و(أَهَمَّهُ) الْأَمْرُ أَقْلَقَهُ وَحَزَنَهُ. وَيُقَالُ: هَمُّكَ مَا أَهَمَّكَ. و(الاهْتِمَامُ) الاغْتِمَامُ. وَ(هَمَّ) بِالشَّيْءِ أَرَادَهُ. مختار الصحاح (٣٢٨/١).

أنواع الهَمُّ:

- قال تعالى: «مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا» (الإسراء: ١٨- ٢١).

أولا: هموم الدنيا:

قال تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) (الإسراء: ١٨). أي من كان طلبه الدنيا العاجلة، وكانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، فخصها بكل جهده وعمله ونسي الآخرة، عجل الله فيها تحقيق أمله حسبما يشاء ويريد، من سعة الرزق وترف الحياة، فليس كل من طلب الدنيا ونعيمها يحصل له مراده، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء، فالعطاء الدنيوي مقيد بالإرادة والمشيئة الإلهية. (المنير للزحيلي: ٤٣/١٥).

وَفِي لَفْظِ هَذِهِ الْآيَةِ فَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى:

أَنَّ الْعِقَابَ عِبَارَةٌ عَنْ مَضَرَّةٍ مَقْرُونَةٍ بِالْإِهَانَةِ وَالذَّمِّ فَقَوْلُهُ: (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ) إِشَارَةٌ إِلَى الإهانة والذم، وقولهِ: (مَدْحُوراً) إشارة إِلى البعد وَالطَّرْدِ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ مِنَ الْجُهَّالِ مَنْ إِذَا سَاعَدَتْهُ

الدُّنْيَا اغْتَرَّ بِهَا، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لأَجْلِ كَرَامَتِه عَلَى اللَّه تَعَالَى، وَأَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ مُسَاعَدَةَ الدُّنْيَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى رِضَا اللَّه تَعَالَى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (لِمَنْ نُرِيدُ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْفَوْزُ بِالدُّنْيَا لِكُلِّ أَحَد، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْكُفَّارِ وَالضُّلَّالِ يُعْرِضُونَ عَنِ الدِّينِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَبْقَوْنَ مَحْرُومِينَ عَنِ الدُّنْيَا وَعَنِ الدِّينِ، (فَهُمُ الأَخْسَرُونَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (مفاتيح الغيب: ٢٠/٣١٦).

عقوبة من كانت الدنيا أكبر همه:

قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ) (طه: ١٢٤).

«فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» أَيْ: فِي الدُّنْيَا، فَلَا طُمَأْنِينَةَ لَهُ، وَلَا انْشِرَاحَ لِصَدْرِه، بَلْ صَدْرُهُ (ضَيِّقٌ) حَرَجٌ لِضَلَالِه، وَإِنْ تَنَعَّمَ ظَاهِرُهُ، وَلَبِسَ مَا شَاءَ وَأَكَلَ مَا شَاءَ وَسَكَنَ حَيْثُ شَاءَ. (تفسير ابن كثير: ٥/٣٢٣).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن أصبح العبدُ وَأمسى وَالدُّنْيَا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نَفسه فشغل قلبه عَن محبتَه بمحبة الْخلق وَلسَانه عَن ذكره بذكرهم وجوارحه عَن طَاعَته بخدمتهم وأشغالهم فَهُوَ يكدح كدح الْوَحْش فِي خدمَة غَيره كالكير ينْفخ بَطْنه ويعصر أضلاعه فِي نفع غَيره». (الفوائد: ١/٨٤).

صور حية من الضنك في الدنيا:

عن زَيْد بْنُ ثَابت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْه أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وَلَمْ يَأْته مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ» (سنن ابن ماجه (٤١٠٥) صححه الألباني).

١- من كانت الدنيا تفكيره، لأجلها يقدم خطوة، ولأجلها يتقهقر أخرى، من كانت الدنيا سبباً في قربه وبعده، وابتسامته ونطقه وصمته وكلامه، ورضاه وسخطه وحزنه ومعاتبته، فليعلم أنه يعاقب عقوبة عاجلة: أولها: تشتت الشمل، فكل ما حوله متشتت حتى وإن كان الأمر بين يديه، وزد على ذلك أن الفقر يلازمه. (دروس للشيخ سعد البريك: ٥/٢٠٤).

٢- في قوله عليه الصلاة والسلام: (جعل الله فقره بين عينيه) فمهما كان عنده من الأموال فلا قناعة تريحه، ويحس دائماً بأنه منقوصٌ مبخوس، ولو كان عنده ملايين، فالشره سيعذبه، والحرص والجشع سيحطمه، وهكذا لا يستمتع بمال. (دروس للشيخ المنجد: ٦/٤٩).

٣- هُم في هَم لازم، وتعب دائم وحسَرة لا تَنقضي، مهما نال الشخص منهم شيئاً منها طمحت نفسه إلى ما فوق، وهكذا في عذاب دائم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً. حالهم في الدنيا كحال شارب الخمر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً. ثم إن أولادهم كثيراً ما يجلبون عليهم التعاسة والشقاء؛ في عقوقهم وكفرانهم لنعمة آبائهم، وإذا لم يكن الولد مؤمناً تقياً براً كريماً فإنه يكون سبب تعاسة لأبوية. (دروس للشيخ المنجد: ٣/١٧٩).

من عقوبات من قدم الدنيا على الآخرة أن الله عز وجل يجعل فقره بين عينيه فمهما كان عنده من الأموال فإنه يشعر دائماً بأنه منقوص مبخوس.

وفي الآخرة: عقوبة بشعة وفظيعة لمن وجه كل حياته لغير الله تعالى وكانت قبلته الدنيا فقط!!!

قال تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (هود: ١٥- ١٦).

قال قتادة: من كانت الدنيا همَّه ونيّته جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يُفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها «أولئك الذين لَيسَ لَهُمْ في الآخرة إلاَّ النار» أي هؤلاء الذين هدفهم الدنيا ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم وعذابها المخلَّد «وَحَبطَ مَا صَنَعُواْ فيَهَا» أي بطل ما صنعوه من الأعمال الصالحة لأنهم قد استوفوا في الدنيا جزاءه. (صفوة التفاسير: ٢/٧).

ثانيا: هموم الآخرة:

- قال تعالى: (وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا) (الإسراء: ١٩).

- عَنْ أَنَس بْنِ مَالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَت الآخرَةُ هَمَّهُ جَعَل اللَّه غنَاهُ في قَلْبه وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغمَةٌ. (سنن الترمذي (٢٤٦٥) وقال الألباني: صحيح).

أ- إن كانت الآخرة همك فإنك لن يمر بك يوم إلا تذكرت فيه مصيرك ومعادك، إن كانت الآخرة همك فإنك لن ترى شيئاً من الدنيا إلا ربطته لا محالة بالآخرة، إن صعدت جسراً في الطريق تذكرت جسر جهنم، وإن لبست ثوباً تذكرت لباس أهل النار ولباس أهل الجنة، وإن شربت شراباً تذكرت شراب أهل النار وأهل الجنة، وإن أكلت طعاماً تذكرت طعام أهل النار وأهل الجنة، وإن اجتمعت بك حال أو تشتت بك أمر ستتذكر بهذا أحوال أهل النار وأحوال أهل الجنة.

ب- من كانت الآخرة همه يُعطى نعمة اجتماع الشمل فيُعطى سكينة وطمأنينة، واجتماع فكر، واجتماع أهل وأحباب وشمل وإخوان، ويُجنب الشقاق والقطيعة، وتجتمع دُنياه عليه ويُكتب له القبول في الأرض، فلا يراه أحد إلا أحبه، وبالجملة يجتمع له وحوله في طاعة الله كلما أراد. (دروس الشيخ سعد البريك: ٢/٢٠٤).

من كانت الآخرة همه يُعطى نعمة اجتماع الشمل فيُعطى سكينة وطمأنينة، واجتماع فكر، واجتماع أهل وأحباب وشمل وإخوان، ويُجنب الشقاق والقطيعة، وتجتمع دُنياه عليه ويُكتب له القبول في الأرض.

ج- من كانت الآخرة همه أن جعل غناه في قلبه؛ لأنه إذا اغتنى قلبه قنع ولم يتطلع إلى الدنيا، ومع ذلك من إيقاع القناعة في قلبه لا يُحرم عليه الدنيا، بل تأتيه الدنيا وهي راغمة ذليلة، فهي التي تأتيه وليس هو الذي يجري وراءها، فهذه هي السعادة التي يبحث عنها الناس. (تفسير القرآن الكريم، المقدم: ٦/١٢٠).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَض، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (البخاري: ٦٤٤٦، ومسلم: ١٠٥١)

د- قال ابن القيم - رحمه الله -: «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمّل الله عنه سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كلّ ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته. (الفوائد: ١/٨٤).

علاج الهموم جميعها:

هموم الدنيا بالنسبة لهموم الآخرة لا تساوي قطرة ماء في محيط واسع هكذا لابد أن يكون همك الوحيد يوم القيامة-الآخرة -لا يفارق بالك حتى تفوز بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة - قال تعالى: (وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (الإسراء: ١٩- ٢١).

وقوله: (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجات) أي والتفاوت في الآخرة أكبر وأعظم، والتفاضل في درجات منافع الآخرة أكبر من التفاضل في درجات منافع الدنيا، فالدرجات أكبر، والتفاضل أعظم لأن الآخرة ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة، فأهل النار في دركات سفلى متفاوتة، وأهل الجنة في درجات عليا متفاضلة، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين، كما بين السماء والأرض. (المنير للزحيلي: ١٥/٤٤)

عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود، قَالَ سَمعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ جَعَل الْهُمُومَ هَمًّا وَاحدًا، هَمَّ الْمَعَاد، كَفَاهُ اللَّه هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِه الْهُمُومُ في أَحْوَال الدُّنْيَا، لَمْ يُبَال اللَّه في أَيِّ أَوْدِيَته هَلَكَ» (سنن

ابن ماجه: ٤١٠٦، صحيح الجامع: ٦١٨٩).

اجعل الهمين هما واحدا:

وهو هم يوم القيامة، فمن جعل الهموم هما وَاحـدًا هم الآخـرة كَفاهُ الله كل هموم الدُّنْيَا وَالْآخـرَة. مَن اقْتَصَرَ عَلَى هَمٍّ وَاحد منَ الْهُمُوم وَتَرَكَ سَائرَ الْمَطَالب وَبَقيَّةَ الْمَقَاصد وَجَعَلَ كَأَنَّهُ لَا هَمَّ إلَّا هَمٌّ وَاحدٌ هَمَّ آخرَته.

(كَفَاهُ اللَّه هَمَّ دُنْيَاهُ): الْمُشْتَملُ عَلَى الْهُمُوم يَعْني كَفَاهُ هَمَّ دُنْيَاهُ أَيْضًا (وَمَنْ تَشَعَّبَتْ به الْهُمُومُ): أَيْ: تَفَرَّقَتْ يَعْني مَرَّةً اشْتَغَلَ بهَذَا الْهَمِّ وَأُخْرَى بهَمٍّ آخَرَ وَهَلُمَّ جَرًّا (في أَحْوَال الدُّنْيَا) (لَمْ يُبَال اللَّه)أَيْ: لَا يَنْظُرُ إلَيْه نَظَرَ رَحْمَة (في أَيِّ أَوْديَتهَا) أَيْ: أَوْديَة الدُّنْيَا أو الْهُمُوم (هَلَكَ): يَعْني لَا يَكْفيه هَمُّ دُنْيَاهُ وَلَا هَمُّ أُخْرَاهُ، فَيَكُونُ ممَّنْ خَسرَ الدُّنْيَا وَالْآخرَةَ.ذَلكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. (مرقاة المفاتيح: ١/٣٣١).

كيف تجعل الهمين همًا واحدا:

١:- تحديد الهدف بتجديد الإخلاص لله رب العالمين:

أ- قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

(قُلْ إنَّ صَلاتي): أي إن كل أنواع صلاتي وعبادتي ودعائي ونسكي أي عبادتي (وقد كثر استعمال النسك في الذبح وأداء شعائر الحج والعمرة وغيرهما) وكل ما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح هو لله عز وجل، أي أن كل أعمالي ومقاصدي محصورة في طاعة الله ورضوانه، فهي آية جامعة لكل الأعمال الصالحة، وعلى المسلم أن يكون قصده وعمله وكل ما يقدمه من عمل هو وجه الله تعالى، سواء في أثناء حياته، أو ما يعقبه من عمل صالح بعد مماته، هو لله، والى الله، وفي سبيل الله، ولطاعة الله تعالى. (المنير للزحيلي: ٨/١٢٥).

ب- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، قَالَ: «إنَّ اللَّه تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لعبَادَتي أَمْلأْ صَدْرَكَ غنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ» (سنن الترمذي (٢٤٦٦) وصححه الألباني).

- يا بن آدم تفرغ لعبادتي: أي فرغ قلبك وأقبل علي وحدي فتكون في كل أحوالك ناظراً إلى ربك سبحانه، مراقباً له خائفاً منه، تعمل ما يرضيه سبحانه وتعالى، فهذا هو التفرغ لعبادة رب العالمين، فإذا فعلت هذا فالنتيجة هي ما جاء في الحديث.

> مَن جعل الهموم هما وَاحدًا هم الآخرة كَفاهُ اللَّه كل هموم الدُّنيَا وَالْآخرَة. مَن اقْتَصَرَ عَلَى هَمٍّ وَاحد منَ الْهَمُوم وَتَرَكَ سَائرَ الْمَطَالب وَبَقيَّةَ الْمَقَاصد وَجَعَلَ كَأَنَّهُ لَا هَمَّ إلَّا هَمٌّ وَاحدٌ هَمَّ آخرَته.

٢- المحاسبة الدائمة للنفس:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر: ١٨)، هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة. (تفسير السعدي: ١/٨٥٣).

فمن منا يجعل الهموم هماً واحداً هم المعاد:

ولو أن كلاً منا في قلبه الآخرة، فسيدرك أن الله سبحانه على كل عمل يقوم به، فإنه إذا قام للصلاة تذكر: الله سيحاسبني على هذه الصلاة فيحسنها، وإذا صام أحسن الصيام، وإذا عمل أي عمل من الأعمال أتقن ذلك العمل، ولا من أجل أن يأخذ الجزاء من الناس، ليس من أجل أن يترقى، ولكن ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، فإذا كانت الآخرة على بال الإنسان دائماً فإن الله سوف يكفيه أمر دنياه. (فصل الخطاب: ١/٩٧)

نسأل الله أن يصلح أحوالنا، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

منبر الحرمين

الدعوة إلى اللّه وظيفة الرسل

إعداد/ **الشيخ صالح آل طالب**

إمام المسجد الحرام

الحمد لله، بعثَ أنبياءَه ورُسلَه تباعًا، وجعلَ أقربَ الناس إليه أكثرَهم طاعةً لرُسُله وأشدَّهم اتِّباعًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بعثَ لكل أمةٍ هاديًا مُطاعًا، ونورًا جاليًا لكل عتمَةٍ وشُعاعًا، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه، وصفيُّه وخليلُه، أرسلَه ربُّه شاهدًا ومُبشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. . أما بعد:

فاتقوا الله تعالى - أيها الناس -؛ فالتقوى خيرُ زاد وخيرُ لباس، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨١).

إن الدنيا تفنَى.. وإن الآخرةَ تبقَى.. فلا تُلهيَنَّكم الفانية، ولا تُشغلنَّكم عن الباقية. الدنيا مُنقطعة.. والمصيرُ إلى الله.

أيها المسلمون:

إن الله تعالى بعثَ رُسُلَه ليدُلُّوا الناسَ عليه، ويُبصِّروا الخلقَ بالطريق المُوصلَة إليه، وكلما عفَت معالمُ رسالة سابقة، وخفَتَ وهَجُ النبُوَّة في نفوس أتباعِها؛ بعثَ الله رسولاً يُجدِّدُ من معالم الدين ما ندرَس، ويُحيي في الناس ما عفَا منها أو التَبَس.

قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «كانت بنُو إسرائيل تسُوسُهم الأنبياء، كلما هلَكَ نبيٌّ خلَفَه نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي»؛ متفق عليه.

فلما ختَمَ الله النبُوَّةَ بسيِّد البشر مُحمد - صلى الله عليه وسلم - جعلَه خيرَ الرُّسُل، وأمَّتَه خيرَ الأُمَم.

ومن كرامَة الله تعالى لهذه الأمة أن شرَّفَها لتقوم بوظيفَة الرُّسُل في الدعوة إلى الله والدِّلالة عليه، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(آل عمران: ١١٠).

وقال تعالى آمرًا نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - أن يُخبرَ الناس: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والدعوةُ إلى الله تكليفٌ دائمٌ لهذه الأمة، ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾(آل عمران: ١٠٤).

فواجبٌ على الأمة أن يُبلِّغُوا ما أُنزلَ إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، ويُنذرُوا كما أنذَر، قال الله - عزوجل -: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢)، وقال - عزَّ من قائل -: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال - سبحانه -: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٦٧)، وقال - عز وجل -: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (القصص: ٨٧).

وقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «بلِّغُوا عنِّي ولو آية».

فالأمرُ يقتَضي وجوبَ الدعوة على كل واحد حسبَ طاقته، وإن كانت فرضَ كفاية.. فأيُّ كفايةٍ والأمةُ غارقةٌ في كثيرٍ من أحوالِها في الجهل وضعفِ الاتِّباع، والانحرافات والبدَع، مع كثرة المُحتاجِين للدعوة والتعليم من المُقبلين، فضلاً عن الأُمم الضالَّة والكافرة.

ألا وإن مُستهَلَّ كل دعوةٍ ومُبتدَأَ كل رسالة: هي الدعوةُ إلى توحيد الله العظيم، وإفرادُه بالألوهيَّة والربُوبيَّة. وهذا أساسُ دعوة الرُّسُل جميعًا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وما تضمَّنَته تفاصيلُ تلك الرسالات يعودُ إلى هذا الأصلِ العظيم.

أيها المسلمون:

كفَى للمُؤمن شرَفًا أن يدعُو إلى ما دعَا الله إليه: (وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ) (يونس: ٢٥)، وهو - سبحانه - من قـال: (وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ) (البقرة: ٢٢١).

عباد الله:

إنه لا تُوجدُ وظيفةٌ في الإسلام أشرفَ قدْرًا، وأسمَى منزلة، وأرحبَ أُفُقًا، وأثقَلَ تبعَة، وأوثقَ عهدًا، وأعظمَ عند الله أجرًا من وظيفةِ عالم الدين؛ لأنه وارثٌ لمقام النبُوَّة، وآخذٌ بأهمِّ تكاليفهَا، وهي الدعوةُ إلى الله، وتوجيهُ خلقه إليه، وتزكيتُهم وتعليمُهم، وترويضُهم على الحق حتى يفهَمُوه ويقبَلُوه، ثم يعمَلُوا به ويعمَلُوا له.

فلا يُوجَد قولٌ أحسنَ من قوله، (وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) (فصلت: ٣٣).

ولا يُوجَد عملٌ أحسنَ من عمله؛ قال ابن القيِّم - رحمه الله -: "وتبليغُ سُنَّة النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - إلى الأمة أفضلُ من تبليغ السِّهام إلى نُحور العدُوِّ؛ لأن تبليغَ السِّهام يفعلُه كثيرٌ من الناس، أما تبليغُ السُّنن فلا يقومُ به إلا ورثَةُ الأنبياء".

عن أبي الدَّرداء - رضي الله عنه - قال: "ما تصدَّق عبدٌ بصدقة أفضلَ من موعظة يعظُ بها إخوانًا له مُؤمنين، فيتفرَّقُون وقد نفعَهم اللهُ بها".

في "الصحيحين" - واللفظُ للبخاري -، من حديث سهل بن سعد، أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «فوالله لأن يُهدَى بك رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حُمر النَّعَم».

الدعوةُ جالِبةٌ لمحبَّة الله، وعند الطبراني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعُهم للناس».

ولا شكَّ أن أعظمَ النفع للناس هو نفعُهم في تصحيح مُعتقَدهم ودينهم، وزيادةِ الإيمان لديهم، وتزكيةِ أخلاقهم وسُلوكِهم، ومُحاربَةِ الباطل والشهوات التي تعترِضُهم.

يكفي الدُّعاةَ سُمُوًّا وفوزًا أنهم المُفلحون والسُّعداء في الدنيا والآخرة؛ قال الحق - سبحانه -: (وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُو)(آل عمران: ١٠٤).

وهم المرحُومون: (وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ) (التوبة: ٧١).

روى مُسلمٌ وأصحبُ السُّنن: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من دعَا إلى هُدى كانَ له من الأجر مثلُ أُجور من تبعَه لا ينقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا».

الدعوةُ إلى الله تُثمرُ لصاحبها الثباتَ على الهُدى، والبركةَ في الأهل والذرِّيَّة، وتدفعُ المُنكَرات وتقطعُها، وتدحَضُ شُبَه المُضلِّين وتدفَعُها، ويصلُحُ بها حالُ المُجتمع، وتنشرُ الإسلامَ وتُعزُّه وترفعُ شأنَه.

وكفَى بها شرَفًا أنها سبيلُ قِيام الدين الذي ارتضَاه للناس ربُّ العالمين.

الدعوةُ إلى الله زيادةٌ في الحسنات، ورفعةٌ في الدرجات، وإذا انقطعَت أجورُ العباد بموتِهم، فأجرُ الداعية مُستمرٌّ ما استمرَّ نفعُ دعوته.

عن أبي مسعود الأنصاريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «من دلَّ على خير فله مثلُ أجر فاعله»؛ رواه مسلم.

إن على الدُّعاة والمُصلحين أن يقُوموا بما استُحفظُوا عليه من نشر الدين والفضيلة، ودَحر الشرِّ والرَّذيلة، وإيقاف المدِّ الإفساديِّ المُعلَن الذي يجتاحُ العالَم بأسره، (وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ)(آل عمران: ١٨٧).

وما ضعُفَت الدعوةُ في بلد أو غابَت إلا نقَصَت الشريعةُ، واختلَّت العقيدةُ، واضمَحلَّت العباداتُ والسُّنن، واختلَّ الأمنُ ونشَطَ الفكرُ الضالُّ.

عبادَ الله.. أيها المسلمون:

إن الأُمَم قبلَنا فرَّطَت فعُوقبَت، وقال الله - عز وجل -: (ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ) (فاطر: ٣٢).

إن هذه الأمةَ مُصطفاة، ومسؤولةٌ عن هذا الميراث العظيم الذي آلَ إليها، وإن تبِعَاتها أمامَ الله جسيمة بإزاءِ هذا الميراث، وأمام الكتَاب الذي ختَمَ اللهُ به الوحيَ، ووكلَ لهذه الأمة درسَه ونشرَه، وكلَّفَها أن تحيَا به وتحيَا له.

إن أمة الإسلام ورثَت هذا الكتاب وهذه الرسالة، وواجِبُها ولُبُّ وجودِها: أن تُخرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور، وأن تقودَ العالَمَ إلى الهُدى والتُّقَى والعفاف والغنَى.

إن الناسَ قد تحجُبُهم عن الحق ظُلُماتٌ شتَّى، قد يعيشُون ويمُوتون فيها. ونحن المُسلمين مُكلَّفُون برفع المِصباح حتى يهتديَ الحَيارَى.

وإذا كانت الجِبالُ للأرض رواسيَ تحفظُها أن تَميد؛ فإن العُلماءَ العاملِين هم الرواسِي للمُجتمعات.. هم الدواءُ لكل ما يفشُو من علَل.. وهم الأملُ الباقي لبقاء الخير في الأرض، وإن ترادَفت النُّوَبُ واكفَهرَّت الآفاق، قال - سبحانه -: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف: ١٨١).

ولحمل الحقِّ أعباءٌ مُرهقة، فما صادَمَ أحدٌ شهوات الناس وأهواءَهم إلا عادَوه، وكذلك كان شأنُ الأنبياء قبلَهم. فلا بُدَّ من الصبر على تثبيط الخاذلين، وكيدِ المُعوِّقين والمُخالفين، والسعيِ بالمرحَمة للخلق أجمعين.

ولقد كان نبيُّنا - صلى الله عليه وسلم - أحرصَ الناس على هداية الخلق، لما أُنزِل إليه: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ) (المدثر: ١، ٢)، قامَ - صلى الله عليه وسلم - يدعُو إلى الله وما قعَد.

نشهَدُ أنه بلَّغ الرسالة.. وأدَّى الأمانة.. ونصحَ الأمة.. وجاهدَ في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين.. بذلَ رُوحَه وراحتَه لدعوة الخلق وتعليمِهم وهدايتِهم حتى حطَمَه الناس، كان يستغلُّ جميعَ المواقف لوعظ الناس وتذكيرهم بالله في كل مكانٍ وحالٍ وزمان، حتى قال الله له مُعزِّيًا ومُسلِّيًا: (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) (فاطر: ٨)، وقال له: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) (الكهف: ٦).

لما أسلمَ الجِنُّ ولَّوا إلى قومِهم مُنذِرين، ولما أسلمَ الصدِّيقُ - رضي الله عنه - لم يلبَث حتى أسلَمَ على يديه نصفُ العشرة المُبشَّرين بالجنَّة، لا يعمَلُون في الإسلام من عملٍ إلا كان لأبي بكرٍ مثلُ أُجورهم.

ولما أسلمَ الطُّفيلُ لم يلبَث أن قدِمَ على رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بثمانين أو تسعين أهلِ بيتٍ من "دَوس" مُسلمين.

وخاضَ سلَفُنا الصالحُ البِحار، وسلَكُوا القِفار، ووصَلُوا عملَ الليل بعملِ النهار في سبيلِ الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته. فكيف يكسَلُ بعضُ ورَثَة أولئك الأخيار عن دعوةِ من حولَهم من قرابَتهم وجيرانهم وخَدَمهم، فضلاً عن غيرِهم، وقد تيسَّرَت سُبُل الدعوة وتعدَّدَت طُرُقُها.

أما والله لو علِمَ العبادُ ما في الدعوة إلى الله من الفضلِ، وما ينالُهم بسببها من الأجر لما قعَدُوا عن ذلك.

إن عملَ الخير والدعوة إلى الخير سماتُ الأمة الظاهرة، وملَكَاتُها الباطنة، ووظيفتُها الدائمة، ورسالتُها ليسَت مُجرَّد دعوَى؛ بل هي أُنموذجٌ وقُدوةٌ، وخيرٌ مُتكاملٌ يعيشُه الداعي قبلَ دعوته، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ⑦⑦ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) (الحج: ٧٧، ٧٨).

إن على كل عالم أن يُدرِكَ أنه مُستحفَظٌ على كتاب الله، مُؤتمَنٌ على سُنَّة رسوله في العمل بها، وتبليغها كما هي، وحارسٌ لهما أن يُحرِّفَهما الغالُون، أو يزيغَ بهما عن حقيقتِهما المُبطِلون، أو يعبَثَ بهما المُبتدعة.

على كل مُسلم أن يكون حذرًا أن يُؤتَى الإسلامُ من قِبَله، وأن يكون سريعَ الاستجابة للحق إذا دعَا داعِيه، وإلى نجدَته إذا رِيعَ سِربُه أو طُرِقَ بالشرِّ حِماه.

واجبٌ على كل مسلم أن ينشَطَ إلى الهداية كلما نشطَ الضلال، وأن يُسارِع إلى نُصرة الحق كلما رأى الباطلَ يُصارِعُه، وأن يُحارِبَ البدعةَ والشرَّ والفساد قبل أن تَمُدَّ مدَّها وتبلُغَ أشُدَّها، وقبل أن يعتادَها الناسُ فترسَخَ جُذورُها في النفوس ويعسُر اقتلاعُها.

وإن الله ليُبارِكُ للمُخلصين جُهدَهم، ولو تعثَّرُوا في بعض الأمور، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت: ٦٩).

فالدعوةُ إلى الله غيرُ محصورةٍ بوقتٍ ولا مكان. فهذا نوحٌ - عليه السلام - يقول: (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا

وَنَهَارًا) (نوح: ٥)، ويسلُكُ طُرقًا مُنوَّعة: (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) (نوح: ٩).

وهذا يوسُفُ - عليه السلام - يدعُو في السِّجن: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (يوسف: ٣٩).

فمن أعجَزَته طريقةٌ وجدَ أخرى، ومن أُغلِقَ عليه بابٌ فُتحَت له أبواب، وهو النُّصحُ المُيسَّرُ للجميع.

يجبُ أن يثبُتَ الداعي على أشُدِّه في الدعوة والبلاغ والأمر والنهي، حسبَ الضوابط الشرعية، وحسبَ الاستطاعة، وأن تُوطِّن النفوسُ على تحمُّل الأذى والابتلاءات التي تترتَّبُ على الدعوة والتبليغ، وأن نعلَمَ أن في قلوب الناس خيرًا كثيرًا.

إن من المُسلمين من فتحَ الله عليه في العلم والفقه، ومعرفة الأحكام والتعليم، ومنهم من فُتِحَ عليه في الوعظ وترقيق القلوب، ومنهم من فُتِحَ عليه في النُّصح والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، ومنهم من انشغَلَ بنشر الكُتُب، وآخرون بمُدافَعَة الباطل. وكلٌّ على ثغرٍ من الإسلام.

ولا يجوزُ أن يكون هذا التنوُّع المُفيدُ سببًا للفُرقة والنُّزاع؛ بل كلٌّ مُسخَّرٌ لما خُلقَ له، (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) (البقرة: ٦٠)، (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة: ١٢٢).

ومن أساءَ من مُحبِّي الخير وناشدي الإصلاح ممن سلمَت عقيدتُهم، وحسُنَ قصدُهم، وصلُحَت سيرتُهم، أفرادًا كانوا أو جماعات، في شأن من شؤون الدعوة؛ فالواجبُ على إخوانهم تبصيرُهم بالحُسنى، ونُصحُهم والصبرُ على تعليمهم مهما جفَوا، وتعاهُدُهم بالنصيحة كل وقت. فهم أحقُّ بالصبر عليهم من صبر الأنبياء على أقوامهم المُشركين.

فإن الاختلافَ من أكبر العثَرات في سبيل الدعوة، ورحِمَ الله من أعانَ الدينَ ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاكُ في ترك ما يقدرُ عليه العبدُ من الدعوة إلى هذا الدين.

أيها المسلمون:

ومن أعظم ما يُسيءُ إلى الإسلام ويُبطِئُ من دعوته، ويحُدُّ من انتشاره: تصرُّفاتُ بعض المُسلمين، وخاصَّةً من يظُنُّ نفسَه من المُحافظين عليه، وفي التنزيل العزيز: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) (المتحنة: ٥).

وقد رأينا في السنوات المُتأخِّرة جرائمَ من أمثال هؤلاء، عمِلَت في الإساءَة للإسلام والدعوة إليه ما لم يستطِع أعداؤه مثلَه. لم تكُن ساحتُه ساحةَ حرب، أو ضحاياها مُحاربُون؛ بل كان مدارسَ المسلمين وبيوتَهم وأسواقَهم.

وكان آخرُها جريمةُ الهُجوم على مدرَسة أطفالٍ في دولة الباكستان، راحَ ضحيَّتَها أكثرُ من مائةٍ وثلاثين قتيلاً، مُعظمُهم من الأطفال.

إنه لا عُذرَ لأولئك القتَلَة عند الله، ولا تبريرَ من أي عقلٍ وعاقل، ولن يقبَلَ صنيعَهم ضميرٌ أو تستسيغَه مُروءَة، وقد ولَغَ القتَلَةُ في دمٍ حرام، وأزهَقُوا أنفُسًا لم يجرِ قلمُ التكليف على أكثَرهم. ما ذنبُ هؤلاء؟! وما ذنبُ أطفال سُوريا والعراق وغيرهم ممن يُمطَرون بالقتل صُبحَ مساء، ويُشرَّدُون في جُوعٍ وخوفٍ وزمهرير الشِّتاء؟! المُجرمون سواء، والإسلامُ منهم براء.

إن من أصول ديننا والمعلوم منه بالضرورة: عصمةُ الدماء وتعظيمُ خطرها، ومع ذلك نرَى سفكَه أهونَ ما يكونُ عند كثيرين، يجترِؤُون عليه بآراء مُنحرِفة، وآراء مُزيَّفة.

لقد حفظَ الإسلامُ دماءَ صبيان الكُفَّار المُحاربين؛ فكيف بصبيان المُسلمين الآمنين؟!

نعوذُ بالله من الانتكاسَة في الدين، وسُلُوك سبيل الخوارج الغالين، ونسألُ الله أن يكفيَ المُسلمين شُرورَهم، وأن يرُدَّهم على أعقابهم، وأن يرحَمَ موتَى المُسلمين، ويشفيَ الجرحَى والمُصابين.

عزاءُ المُسلمين لأسَر الضحايا: رحِمَ الله الأموات، وأخلَفَ على ذوي الأطفال، وجعلَهم لهم فرَطًا وشُفعَاء، وفي كفالَة أبيهم إبراهيم - عليه السلام -.

سبحان ربِّك رب العزة عما يصِفون، وسلامٌ على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.

الأسباب الوقائية في السنة النبوية لظاهرة الغلاء في الأسعار

إعداد/ **د. سليمان بن صالح الثنيان**

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تحدثنا فيما سبق عن ظاهرة غلاء الأسعار وأسبابها وسبل معالجتها، وذكرنا سببين من أسباب غلاء السلع والأسعار، وهما:

١- الاحتكار.

٢- بيع الشيء قبل قبضه.

وفي هذا اللقاء نواصل مع حضراتكم الحديث فنقول، وبالله تعالى التوفيق:

المبحث الثالث: النجش

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش". متفق عليه.

وقال عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: "الناجش آكل ربا، خائن". أخرجه البخاري.

النجش في اللغة: الاستتار؛ لأنه يستر قصده.

وقيل: من الاستثارة، يقال: نجش الصيد أنجشه بالضم نجشًا.

وهو: بسكون الجيم المصدر، وبفتحها الاسم.

وهو: أن يمدح السلعة ليُنَفِّقَهَا ويروِّجها، أو يزيد في السلعة أكثر من ثمنها، وليس قصده أن يشتريها، بل ليغرَّ غيره، فيوقعه فيه.

والنجش حرام بالإجماع، وقد نهى الشرع عن النجش؛ لأن فيه تغريرًا للراغب في السلعة، وتركًا لنصيحته المأمور بها، ويقع النجش بمواطأة البائع مع الناجش، فيشتركان في الإثم، ويقع ذلك بغير علم البائع، فيختص ذلك بالناجش.

ومن صور النجش المعاصرة: اعتماد الوسائل السمعية والمرئية والمقروءة التي تذكر أوصافًا رفيعة لا تمثل الحقيقة، أو ترفع الثمن لتغرَّ المشتري وتحمله على التعاقد.

ومن خلال صور النجش السابقة: تبين أن النجش قد يقع على شخص واحد هو المشتري، وقد يكون شاملاً لأناس كثيرين، كما في الإعلانات التجارية، التي لا تمثل

الحقيقة، فيقع التغرير بهؤلاء الناس.

والذي يهمنا هنا في موضوع البحث هو النوع الأول، وهو إذا زاد في ثمن السلعة من لا يريد الشراء، فسوف يشتري المشتري المحتاج لهذه السلعة بأعلى من سعرها الحقيقي.

المبحث الرابع: بيع الحاضر للبادي:

وما كان سببًا أيضًا في غلاء الأسعار بيع أهل الحضر لمن جاء من البدو.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تلقوا الركبان، ولا يبع حاضر لباد».

قال طاووس: فقلت لابن عباس: "ما قوله: (لا يبيع حاضر لباد)؟ قال: لا يكون له سمسارًا". متفق عليه.

وفي الصحيحين أيضًا عن أنس بن مالك، وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يبع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض».

في هذه الأحاديث وغيرها جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن بيع الحاضر للبادي.

قال ابن قدامة: وَهُوَ أَنْ يَخْرُجَ الْحَضَرِيُّ إلَى الْبَادِي، وَقَدْ جَلَبَ السِّلْعَةَ، فَيُعَرِّفَهُ السِّعْرَ، وَيَقُولَ: أَنَا أَبِيعُ لَك، فَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، وَالْبَادِي هَاهُنَا مَنْ يَدْخُلُ الْبَلْدَةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، سَوَاءٌ كَانَ بَدَوِيًّا، أَوْ مِنْ قَرْيَةٍ، أَوْ بَلْدَةٍ أُخْرَى. (المغني: ٣٠٨/٦، ٣٠٩).

وجمهور العلماء على النهي عن بيع الحاضر للبادي، ومنهم من حمله على التحريم، ومنهم على الكراهة.

وإنما نهي عن بيع الحاضر للبادي؛ لأنه متى ترك البدوي يبيع سلعته، اشتراها الناس برخص، ويوسع عليهم السعر، فإذا تولى الحاضر بيعها، وامتنع من بيعها إلا بسعر البلد، ضاق على أهل البلد.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقْ الله بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ». إلى هذا المعنى.

المبحث الخامس: تلقي الركبان:

تقدم في المبحث السابق حديث ابن عباس رضي الله عنهما في النهي عن تلقي الركبان، وورد في هذا الباب أيضًا حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تتلقى السلع حتى تبلغ الأسواق. متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ لَا تَلَقَّوْا الْجَلَبَ فَمَنْ تَلَقَّاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ فَإِذَا أَتَى سَيِّدُهُ السُّوقَ فَهُوَ بِالْخِيَارِ».

وفي الباب أيضًا أحاديث أخرى.

وفي الحديث الأخير إشارة إلى علة النهي عن تلقي الركبان، وهي الغبن الذي يقع على الركبان؛ لأنهم قد لا يعرفون سعر السوق، فيأتيهم المشتري وهو المتلقي فيشتري بأقل، ولذلك أثبت النبي صلى الله عليه وسلم للبائع الخيار إذا دخل السوق، وهو خيار الغبن.

وعلى هذا يكون النهي لدفع الضرر عن البائع وهم الركبان والجلب، ولكن كذلك؛ فإن تلقي الركبان ربما أضر بأهل البلد؛ لأن الركبان إذا وصلوا باعوا أمتعتهم، والذين يتلقونهم إذا كان قصدهم بيعها بعد ذلك فإنهم لا يبيعونها سريعًا، بل يتربصون بها غلاء السعر، فهو في معنى بيع الحاضر للبادي، كما قال ابن قدامة.

والعلة الثانية هي التي تدخل في موضوع البحث؛ إذ كان من مقاصد النهي عن تلقي الركبان دفع الضرر عن أهل السوق. والله أعلم.

المبحث السادس: التصرفات الخاطئة للسماسرة

السماسرة جمع سمسار، وهو الذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطًا لإمضاء البيع، ويسمى أيضًا الدلال.

وهي من صور الوساطة التجارية، التي اختلف الفقهاء في تكييفها؛ هل هي إجارة أم جعالة أم وكالة.

وعمل السمسار مباح شرعًا، ولكن قد يسهم السمسار في غلاء الأسعار، وذلك يكون في صور عدة، قال أبو العباس الأبياني: ومنهم من يشتري السلعة لنفسه، ويوهم صاحبها أن بعض الناس اشتراها منه، ويواطئ غيره على شرائها منه، ومنهم من تكون السلعة له، فينادي عليها ويزيد في ثمنها من قبلها، ويوهم

الناس أن هذا الثمن دفعه له فيه بعض التجار، وأنها ليس ملكه، وهذا غش وتدليس.

ومن الصور التي يكون فيها السمسار سببًا لغلاء الأسعار أن يتفق المالك مع السمسار، وهو هنا مكتب تسويق العقار على أن صاحب المكتب يبيع العقار على أن له نسبة معينة من قيمتها، وهو المقدر بعرف الناس الآن بربع العشر، وهو (٢,٥٪)، فيسعى صاحب المكتب إلى رفع سعر العقار ليزيد نصيبه من هذه الصفقة، فهذه الإجارة جوزها الحنابلة، ومنع منها جمهور العلماء، وعللوا سبب المنع بجهالة الجعل أو الأجر.

وقد ينازع في هذا التعليل استدلالاً بمعاملة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل خيبر على الشرط مما يخرج منها.

والأولى أن يعلل بما ورد في النهي عن بيع الحاضر للبادي، وهو أن الحاضر يكون سببًا لغلاء السلع على أهل السوق، فكذلك هنا صاحب مكتب العقار إذا كان يزيد ما يحصل عليه من الأجر إذا زاد ثمن العقار، فسيكون سببًا لغلاء العقار كما هو مشاهد.

وللخروج من هذا الإشكال؛ ينبغي أن تحدد الأجرة للدلال- أي: السمسار- أو مكتب العقار بمبلغ معين، يتفق عليه كل من المالك والدلال، فبذلك يكون الدلال لا يستفيد من زيادة سعر العقار.

وبذلك يعلم أن ترك الوساطة التجارية بدون ضوابط يتسبب في الانحراف بها عن وظيفتها، لتصبح وسيلة للخداع والتغرير، وطريقًا إلى الاحتكار، وهذا يقضي على المنافسة، فلا تتحدد الأسعار وفقًا لتفاعل العرض والطلب، بل يتم التحكم فيها من قبل بعض الوسطاء التجاريين، مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار.

وقد أثبتت الدراسات الاقتصادية أن تعدد الوسطاء بين المنتج والمستهلك من أهم أسباب ارتفاع تكاليف التسويق؛ إذ يسعى كل منهم للحصول على أكبر قدر ممكن من الربح، فترتفع بذلك أسعار السلع، ويتحمل المستهلك كل تلك الزيادة.

طرق ووسائل خفض الأسعار

بعد أن تناولنا أسباب ظاهرة غلاء الأسعار، يحسن بنا أن نعرج على طرق علاج هذه الظاهرة إذا وقعت، ويمكن أن نقسم طرق العلاج إلى قسمين:

المبحث الأول: الطرق الشرعية التي تسهم في خفض الأسعار:

ويمكن إجمال هذه الطرق في النقاط التالية:

١- أهم طرق العلاج هو ترك السبب الرئيس للغلاء؛ وهو الذنوب، فلا بد من التوبة إلى الله وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والبعد عن البيوع والمكاسب المحرمة، فما وقع بلاء إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة.

٢- كذلك من أهم طرق علاج هذه الظاهرة الاحتساب على أهل السوق ألا يتعاطوا ما يؤدي إلى غلاء الأسعار من الأسباب التي سبق ذكرها خلال فصول البحث، وهذا الاحتساب يقوم به أهل العلم والمصلحون، ولا بد مع ذلك من قيام جهات حكومية تستطيع بقوة السلطان حماية المستهلك ووقف جشع التجار.

٣- ومن الطرق الشرعية لعلاج هذه الظاهرة الدعاء والإقبال على الله أن يرفع هذه المحنة، كما ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم لما شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم غلاء الأسعار وسألوه أن يسعر لهم، امتنع عليه الصلاة والسلام، وقال: «بل ادعوا»، فالله عز وجل وهو المقدر لكل مصيبة هو القادر على رفعها.

٤- هناك مسلك يرى البعض أنه من الطرق الناجعة لمعالجة ظاهرة الغلاء، وهو مقاطعة التجار والسلع التي يغالى في أسعارها، وهذا المسلك من باب العقوبات، ويذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له: إن اللحم غلا، قال: فأرخصوه. أي: لا تشتروه. (الحلية لأبي نعيم الأصبهاني: ٣٢/٨).

ولم أقف بعد البحث على دراسة شرعية في حكم المقاطعة الاقتصادية لبعض التجار أو الشركات التي يعتقد أنها تسهم في هذه الظاهرة، وما وقفت عليه من هذه الدراسات يتناول مقاطعة البلدان أو الشركات الكافرة فقط، ولذا يصنف على أنه من باب الاجتهاد.

وأما مقاطعة بعض التجار المسلمين، أو بعض الشركات في بلاد المسلمين التي ترفع أسعار منتجاتها بغير سبب حقيقي، فلم أقف على دراسة سابقة لحكمها الشرعي، وقد جرب هذا العلاج مع بعض التجار والمنتجين، فأذعنوا لمطالبة الناس لهم بخفض الأسعار، ونحن نعتقد أن ذلك لا يكفي في الحكم على هذا المسلك بأنه مباح شرعًا؛ إذ الغاية لا تبرر

الوسيلة، ولكن أرى- بحسب علمي- أن مقاطعة التاجر المسلم والتواصي بذلك بين الناس، فيُقال: لا تشتروا من التاجر الفلاني أو الشركة الفلانية، بحجة سعي هذا التاجر أو الشركة لرفع الأسعار، أقول: إن هذه المقاطعة لا تجوز وهي من الظلم؛ لما فيها من الضرر على التجار والمنتجين، إلا إذا ثبت لأهل الاختصاص أن هذا الغلاء في أسعارها غير مبرر، ولا يخضع لأسباب اقتصادية دعت هذا التجار أو الشركة لرفع سعر منتجاتها، فإذا ثبت وقوع هؤلاء في الجشع، واستغلالهم حاجة الناس منتجاتهم برفع الأسعار، فلا مانع شرعًا من مقاطعة هؤلاء اقتصاديًا حتى يعودوا إلى سعر السوق، ويكون من باب الهجر الذي شرع لردع الفساق والمجاهرين بالمعاصي، والله أعلم.

الطرق التي اقترحها البعض وسائل لخفض الأسعار وهي مخالفة للشرع:

أولاً: التسعير:

هو منع السلطان الناس البيع بزيادة على ثمن يقدره لهم. (انظر: معونة أولي النهى شرح المنتهى ٦٩/٤).

والأصل في التسعير التحريم والمنع؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا السعر بالمدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الناس: يا رسول الله، غلا السعر، سعر لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله المسعر القابض الباسط الرزاق، إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال». (أخرجه أبو داود، وأحمد، واللفظ له، وهو حديث صحيح).

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة..»، بيان سبب امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن التسعير، وهو ما يتضمنه من الظلم على أصحاب السلع.

ولذا ذهب من ذهب من أهل العلم إلى جواز التسعير، بل وجوبه إذا تحقق أن التسعير سبب لرفع الضرر عن الناس بسبب جشع التجار، والتفصيل في ذلك ليس مقصود البحث هنا.

قال الباجي: إذا سعر على أهل السوق من غير رضا لما ربح لهم فيه، أدى ذلك إلى فساد الأسعار، وإخفاء الأقوات، وإتلاف أموال الناس.

وقد ذكر الاقتصاديون المحدثون أن التسعير إذا اتخذ أداة لإبقاء الرخص ومحاربة الغلاء فحظه من النجاح ضئيل؛ للأسباب الآتية:

١- ليست طرق الاحتيال التي يتخذها الباعة هي السبب الوحيد للأزمات التي حدت بالدولة إلى التسعير، بل قد يكون نتيجة حرب، أو أسباب اقتصادية؛ كقلة الإنتاج، أو الإفراط في استهلاكها، وغير ذلك.

٢- صعوبة حمل الناس على احترام السعر الرسمي؛ لوجود الاحتيال من الباعة للتلخص منه، وذلك بإخفاء السعر الرسمي.

٣- أن تحديد الثمن من قبل السلطات قد يترتب عليه بعض المضار، فإنه إذا أخطأت السلطات بتحديد السعر لإضراره بالمنتجين، فسيقل الإنتاج، وقد ينقطع، فترتفع الأسعار، ويتضرر المستهلكون.

وعليه؛ فالأصل أن التسعير محرم وظلم؛ لأنه اعتداء على حق الله، فهو المسعر، وذلك أن ارتفاع السعر وانخفاضه يعود على أسباب خلقها الله، أهمها العرض والطلب، فمتى كثر الطلب على السلعة وقل العرض؛ ارتفع سعرها للمشاحة في الشراء، وإن كان العكس؛ كثر العرض للسلعة وقل الطلب انخفض السعر؛ للمشاحة في البيع.

وكذلك هو ظلم لأصحاب السلع؛ بإلزامهم بسعر قد يكون أقل من سعر المثل، يدفعهم ذلك إلى حبس السلع في المخازن، أو بيعها في أسواق غير معلنة، وهذا سبب مؤكد لغلاء الأسعار.

نعم؛ قد يكون هناك حالات معينة يرتفع السعر ارتفاعًا غير مبرر، وإنما جشع التجار واستغلالهم حاجة الناس إلى سلعة منها، فهنا لا ريب أن التسعير لهذه السلع حاجة ملحة، ولكن يجب أن يكون ذلك بسعر عادل، وهذا يحدده أهل الخبرة.

ثانيًا: تحديد النسل:

ذكره الدكتور أحمد الحجي الكردي في بحثه: نظرات شرعية في غلاء الأسعار.

وهذا العلاج ينبي على أساس أن زيادة عدد السكان يؤثر في الاقتصاد سلبًا؛ نظرًا لزيادة الطلب على السلع مع قلتها، فينتهي الأمر إلى ارتفاع الأسعار، وكذلك الأسرة الفقيرة كلما زاد عدد أفرادها ازدادت فقرًا.

وتحديد النسل أو منعه- وهو من أشد- الأمور المحرمة شرعًا.

وقد قرر مجلس المجلس الفقهي الإسلامي بالإجماع في دورته الثالثة، المنعقدة ما بين ٢٣- ٣٠ ربيع الآخر من عام ١٤٠٠هـ أنه لا يجوز تحديد النسل مطلقًا، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد منه خشية الإملاق؛ لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، «وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا» (هود: ٦)، وإنما يرخص فيه لأسباب صحية يقرها طبيب مسلم ثقة.

وأما إلزام الشعوب بذلك، وفرضه عليها؛ فهو أشد حرمة وإثمًا، وهذه الحكومات تنفق الأموال الضخمة للتسلح للسيطرة والتدمير، بدلاً من إنفاقه في التعمير والتنمية وحاجات الشعوب.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم». (رواه النسائي برقم: ٣٢٢٧).

والمؤتمرات التي ترعاها هيئة الأمم المتحدة لموضوع السكان والتنمية تحاول الربط بين ما تسميه الانفجار السكاني، والتخلف الاقتصادي، وهذه لا شك في أنها مكيدة من أعداء المسلمين، لا يريدون بها الخير للمسلمين، وهم كما قال الله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ » (البقرة: ١١، ١٢).

ولقد رد علماء المسلمين على المبادئ التي قامت عليها هذه المؤتمرات، وعارضوا التوصيات التي صدرت عنها، وبينوا مخالفتها للنظام الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي، بل يخالف العقيدة الإسلامية، التي تغرس في المسلم التوكل على الله، والإيمان أنه هو الرزاق القدير.

وأصحاب هذه الدعوة الباطلة نظروا إلى أن كل مولود جديد وحدة استهلاكية فقط، ونسوا- أو تناسوا- أنه وحدة إنتاجية أيضًا، والقس (مالتوس)، وهو ممن ربط بين قضية التخلف الاقتصادية وزيادة عدد السكان، وعلى أن بينهما علاقة مضطردة، هذا الرجل الذي أطلق عليه في زمنه: الشرير، رد عليه في زعمه هذا حتى علماء الاقتصاد غير المسلمين، والواقع يبطل هذه الدعوى؛ فإن الإحصائيات تثبت أن تدهور الاقتصاد والتخلف والفقر إنما هو في تعطيل الإنسان، الذي هو أساس التنمية، وعدم توفير فرص العمل؛ بسبب سوء السياسات الاقتصادية والفساد، وإلا فإن عدد السكان في الصين واليابان- على سبيل المثال- صاحبه زيادة ملحوظة في النمو ومعدل الدخل للفرد.

ثالثًا: بعض الإجراءات التي تتخذها بعض الحكومات بغرض دعم الاقتصاد، ويكون فيها ظلم لأحد؛ إما بفرض ضرائب على المنتجين أو العمال، وإما بسن قوانين لا تراعي الضوابط الشرعية، بل مأخوذة من النظم الاقتصادية التي أثبت الواقع أنها لا تراعي المصالح والمفاسد، ولذا فهي إن عالجت مشكلة، خلقت مشاكل.

الخاتمة

نحمد الله على ما من به علينا من التوفيق في دراسة ظاهرة غلاء الأسعار في أسواق المسلمين، وأسأله- جل وعلا- القبول، وأسجل هنا أهم ما توصلت إليه من نتائج، فمنها:

١- اضطرار الناس في كل شئونهم الاعتصام بحبل الله، والرجوع إلى الله في علاج مشاكلهم.

٢- ظاهرة غلاء الأسعار يجب علاجها بالرجوع إلى أسبابها أولاً، وهي كما تبين من خلال البحث أسباب نهى عنها الشارع، وهذا يبين كمال هذه الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

٣- يجب الحذر في العلاجات التي يقترحها بعض الاقتصاديين لعلاج هذه الظاهرة، ولا سيما إذا كانت تخالف أحكام الشرع، والمشاهد أن هناك من يقترح وسائل لخفض الأسعار يكون فيها إجحاف بحق التجار وظلم لهم، وهذه المقترحات تراعي المستهلك دون المنتج، وهذا فيه خلل كبير، وظلم عظيم.

٤- هناك حاجة لدراسة حكم الشرع في المقاطعة الاقتصادية للتجار المسلمين أو الشركات التي يملكها مسلمون إذا ظهر أنها تغالي في أسعار لغير سبب حقيقي.

وفي الختام: أسأل الله أن يتجاوز عما أخطأت فيه، ويغفر لي زللي، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

فضل الدعوة إلى الله تعالى

قال تعالى: « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ »(فصلت: ٣٣).

من دلائل النبوة

إجابة الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود، قال: «استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فدعا على نفر من قريش سبعة فيهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، قال عبد الله: فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر قد غيرتهم الشمس وكان يومًا حارًا». (صحيح البخاري).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن البراء قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وضع يده تحت خده الأيمن، ويقول:

«اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»

(الأدب المفرد للبخاري).

من فضائل الصحابة

بشهادات آل البيت

عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن قال: من جَهِلَ فضل أبي بكر وعمر فقد جَهِلَ السنة. (أصول الاعتقاد للالكائي)

وصايا لطلاب العلم:

العلم قبل العمل

عن ابن سيرين قال: إن قوماً تركوا العلم ومجالسة العلماء، واتخذوا محاريب فصلُّوا فيها، حتى يَبِسَ جلْدُ أحدهم على عظمه، خالفوا السنة فهلكوا. والله ما عَمِلَ عامل بغير علمٍ إلا كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح.

(الباعث لأبي شامة)

حكم ومواعظ

عن وهيب بن الورد قال: «ويلٌ لمن كانت الدنيا أمله، والخطايا عمله، عظيمٌ بطشه، قليلٌ فطنتُه، عالمٌ بأمر دنياه، جاهلٌ بأمر آخرته» (الزهد للبيهقي)

من سِيَر الخلفاء

قال عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب: «والله لا يحبك قلبي أبدًا حتى تحب الأرضُ الدمَ. قال: يا أمير المؤمنين، فهل تمنعني لذلك حقا؟ قال: لا. قال: فحسبي. (العقد الفريد)

إعداد/ علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أنس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «إذا أراد الله بعبد خيرا استعملهُ» فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «يوفّقهُ لعملٍ صالح قبل الموت».

(سنَن الترمذي وصححه الألباني).

من معاني الأحاديث

(روع) فيه «إن روح القدس نفث في روعي» أي: في نفسي وخلدي. وروح القدس: جبريل. ومنه «إن في كل أمة محدَّثين ومروَّعين» المروَّع: الملهَم، كأنه ألقي في روعه الصواب. وفي حديث الدعاء «اللهم آمن روعاتي» هي جمع روعة، وهي المرة الواحدة من الروع: الفزع.

(النهاية لابن الأثير).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(يُدعى الناس يوم القيامة بأمهاتهم؛ سترًا من الله عز وجل عليهم). فالحديث باطل؛ كما قال ابن القيم في «مناره» . قال: «والأحاديث الصحيحة بخلافه، قال البخاري في «صحيحه»: (باب ما يدعى الناس يوم القيامة بآبائهم). (السلسلة الضعيفة لألباني).

من أقوال السلف

عن أيوب السختياني قال: إذا حدثتَ الرجلَ بالسُّنَة، فقال دعنا من هذا، وحدثنا من القرآن فاعلم أنه ضالٌ مُضل.

(الإبانة لابن بطة)

من حكمة الشعر

إذا ما الدهر جرَ على أناس ... حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا: أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

(العقد الفريد)

أخلاق سيئة .. فاحذرها

قال حبيش بن مبشَر الثَقفيَ الفقيه: «قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنَاس متوافرون فأجمعوا أنَهم لا يعرفون رجلاً صالحا بخيلاً» (إحياء علوم الدين)

أخلاق حسنة .. فالزمها

عن عبد الله بن المبارك قال: «حُسن الخلق أن تحتمل ما يكون من النَاس»

(جامع العلوم والحكم)

دراسات شرعية

الحلقة ٦٩

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تكلمنا في العدد السابق عن الصلاة الوسطى، وبينا أن الراجح أنها صلاة العصر، ولم تتسع صفحات المقالة لذكر القرائن المستخدمة في الترجيح، فهذا بيانها:

إعداد/ متولي البراجيلي

رابعًا: كيفية استخدام قرائن السياق في ترجيح أن الصلاة الوسطى هي العصر: استخدمنا في البحث مجموعة من القرائن المتعددة كالتالي:

١- الرد على من استدل بقوله تعالى: (وقوموا لله قانتين) أن المقصود هو القنوت في صلاة الفجر، بحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه... كنا نتكلم في الصلاة... الحديث، وهذا يرجّح أن القنوت هنا بمعنى السكوت والخشوع. ضعف حديث أنس رضي الله عنه: „ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الغداة” وإيراد حديث ابن عباس رضي الله عنهما بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت في جميع الصلوات في النوازل.

٢- الرد على من قال: إن الوسطى هي الفجر لأنها لا تقصر في السفر، بحديث عائشة رضي الله عنها „فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين...” الحديث.

٣- الرد على من قال: إن الوسطى هي الفجر لفضلها بأحاديث فضل صلاة العشاء، كحديث أبى هريرة مرفوعا: „ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء...” الحديث، وحديث عثمان رضي الله عنه مرفوعا: „من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل...” الحديث.

٤- معارضة فضل صلاة الفجر بالأحاديث التي أوردت الوعيد الشديد لمن ترك صلاة العصر، كحديث بريدة مرفوعا: „من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله”. وحديث ابن عمر: „الذي تفوته صلاة العصر...” الحديث.

٥- تقديم دلالة المنطوق على دلالة المفهوم في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي يفهم فيه أن الوسطى هي الظهر، وهذا لا يثبت أمام الأحاديث الصريحة في كون الوسطى هي العصر.

٦- وفي نص الحديث قاعدة: النص إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

٧- معارضة ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوسطى هي المغرب، بما نقل عنه أنها العصر.

٨- معارضة ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الوسطى مبهمة وهى في سائر الصلوات بأثر ابن مسعود عن ليلة القدر وكذلك بما نقل عنه أن الوسطى: الصبح، العصر.

٩- معارضة ما نقل عن أمهات المؤمنين (والصلاة الوسطى وصلاة العصر) بنصوص أخرى صحيحة ثبتت عنهم بعدم العطف بالواو (والصلاة الوسطى صلاة العصر) وكذلك (والصلاة الوسطى هي العصر).

١٠- بيان أن الواو العاطفة لا تقتضي المغايرة في كل استخداماتها، وجئنا بقرائن من كتاب الله تعالى، تبين أنها قد تأتي زائدة، أو تأتي من باب عطف الصفات بعضها على بعض.

صلاة الضحى

أولا: وقتها:

تبدأ من ارتفاع الشمس قدر رمح في نظر المشاهد لها، وقدره العلماء بنحو من عشر دقائق إلى ثلث ساعة، إلى ما قبل أذان الظهر بنحو عشر دقائق إلى ثلث ساعة، وذلك أخذا من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، وهو حديث طويل وفيه:... „إذا صليت الصبح فأقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فلا تصل حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رمح أو رمحين فصلّ..." (مسند أحمد وغيره).

وأفضل أوقاتها عندما تشتد حرارة الشمس؛ لحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون، فقال: „صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى" (صحيح مسلم وغيره)، وقوله (رمضت الفصال): أي وجدت شدة الحر. والرمضاء هي الحجارة شديدة الحرارة من حر الشمس، أو الرمال الساخنة، والفصال: هي الإبل الصغيرة، وهى جمع فصيل). وذلك أن الإنسان يميل إلى الراحة في هذا الوقت، فلا ينشغل بطاعة ربه إلا الأواب: وهو الكثير الرجوع إلى ربه سبحانه وتعالى.

ثانيا: عدد ركعاتها:

أقلها ركعتان -وهذا لا خلاف فيه - لأحاديث منها: حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: „أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام" (متفق عليه).

وحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: „يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى. (صحيح مسلم وغيره).

أما أكثرها، فقد اختلفوا فيه على أقوال:

١- أكثرها ثمان ركعات، لحديث أم هانئ رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل وصلى ثمان ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود. (متفق عليه) وفي رواية قالت:... صلى سبحة الضحى... (سنن أبي داود وغيره).

٢- أكثرها اثنتا عشرة ركعة لحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: „من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة من ذهب (وهو حديث ضعيف، انظر سنن الترمذي وابن ماجه للألباني).

٣- لا حد لأكثرها، لحديث عائشة رضي الله عنه عندما سألتها معاذة: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت: نعم أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله (صحيح مسلم).

وقد تكون أربعًا كما بحديث عائشة، والزيادة نفلاً مطلقا.

فهل تقيد الزيادة في حديث عائشة رضي الله عنها بفعله صلى الله عليه وسلم في حديث أم هانئ: أن أكثرها ثماني ركعات، أم تبقى على إطلاقها: أن لا حد لأكثرها؟ أرى – والله أعلم- أنه يجوز الزيادة على

ثمان ركعات، وان كان الأفضل عدم تجاوزها، والاقتصار على أربع لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى أربع ركعات (صحيح مسلم).

ولحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: „يا ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره (صحيح سنن الترمذي وغيره).

ثالثا: اختلاف العلماء في حكم صلاة الضحى:

اختلفت أقوال أهل العلم في حكم صلاة الضحى على ستة أقوال (انظر زاد المعاد لابن القيم١/٣٣٠- ٣٤٨) أشهرها ثلاثة أقوال:

القول الأول: الاستحباب مطلقا، فيستحب المواظبة عليها، وهو ما عليه الجمهور ففي عمدة القاري:... فجمهور العلماء على استحباب الضحى (عمدة القاري لبدر الدين العيني الحنفي ت ٨٥٥، ١٩٦/٥).

وعند المالكية: تستحب المداومة عليها. انظر مواهب الجليل ٦٧/٢، ورأى الشافعية أنها سنة مؤكدة. انظر المجموع ٣٦/٤، وأدلتهم على ذلك أحاديث منها الأحاديث الواردة في فضل صلاة الضحى، كحديث أبى هريرة رضي الله عنه: „أوصاني خليلي بثلاث... (وقد سبق)، وحديث أبى ذر رضي الله عنه: يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة... (سبق)، وحديث أبى ذر رضي الله عنه: „يا ابن آدم اركع لي أربع ركعات..." (سبق)، وأيضا لأن النبي صلى الله عليه وسلم حث على المواظبة على الأعمال الصالحة، كما بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: أدومه وإن قل (متفق عليه).

القول الثاني: وهو أنه يستحب فعلها تارة وتركها أخرى، ولا يواظب عليها، وهو من مذهب الحنابلة، قال ابن مفلح: ونص أحمد: تُفْعل غبًّا (الفروع لابن مفلح الحنبلى ت ٧٦٣، ٤٠٣/٢)، و"غبًّا: أي تفعل حينا وتُترك حينا. (وإن كان الحنابلة نقل عنهم روايات منها أنها مستحبة كالجمهور، وأنها تفعل حينا وتترك حينا، انظر المغنى لابن قدامة الحنبلي ت ٦٢٠، ٩٧/٢).

ومن أدلتهم: ١- حديث عائشة رضي الله عنها: „ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبَّح (صلى) سبحة الضحى، وإني لأسبحها، وإن كان ليدع العمل وهو يحب أن يفعله خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم" (متفق عليه).

وأجيب عن ذلك بأن عائشة رضي الله عنها لم تر النبي صلى الله عليه وسلم يواظب على صلاتها بدليل قولها في الحديث الآخر: أنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربع ركعات (صحيح مسلم)، وهي قد علمت فضلها ولذا كانت تصليها وقد بينت السبب الذي من أجله كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواظب عليها، وهو خشية أن تفرض على الأمة.

وقد قال الإمام النووي بالوجهين في نفيها لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى، الوجه الأول: عدم رؤيته لسفره أو لعدم وجوده في ذلك الوقت عندها. الوجه الثاني: أن قولها: ما كان يصليها: أي ما يداوم عليها، فيكون نفيا للمداومة، لا لأصلها (انظر شرح النووي على مسلم ٢٣٠/٥).

يقول ابن بطال: وفي قولها: وإني لأسبحها: دليل أنها صلاة مندوب إليها مرغب فيها... فالتزامها لا يكون إلا عن علم عندها من النبي صلى الله عليه وسلم (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ت ٤٤٩، ١٧٠/٣-١٧١).

٢- حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها، ويدعها حتى نقول لا يصليها (سنن الترمذي وغيره) وهو حديث ضعيف، فلا حجة فيه (انظر ضعيف سنن الترمذي ح ٤٨٠).

٣- حديث أنس رضي الله عنه في قصة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الضحى في

بيت عتبان بن مالك رضي الله عنه، وفيه: وقال فلان ابن الجارود لأنس رضي الله عنه: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قال: ما رأيته صلى غير ذلك اليوم (صحيح البخاري).

وأجيب عن ذلك بأن نفي أنس رضي الله عنه في الحديث لا يستلزم نفي فعلها مطلقا، وإنما هو أثبت ما يعلم.

القول الثالث: لا تشرع إلا لسبب، ورجح ابن القيم هذا القول بعد أن ذكر الأقوال الستة (انظر زاد المعاد ١/٣٣٠ - ٣٤٨)، وشيخ الإسلام قال عن صلاة الضحى إنها حسنة محبوبة، ثم قال: والأشبه أن يقال: من كان مداوما على قيام الليل أغناه عن المداومة عن صلاة الضحى، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل، ومن كان ينام عن قيام الليل فصلاة الضحى بدلا عن قيام الليل (الفتاوى الكبرى لابن تيمية ت ٧٢٨، ١٢٨/٢).

وقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها إلا بسبب، وأن هذا السبب اتفق وقوعه في وقت الضحى، ومن ذلك:

١- حديث أم هانئ رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات... الحديث (متفق عليه)، فقالوا إن هذه الصلاة كانت بسبب فتح مكة، وأن هذه سنة الفتح أن يصلي ثمان ركعات. وفي شرح صحيح البخاري: وقد قيل: إن صلاته صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثمان ركعات لم تكن صلاة الضحى وإنما كانت من أجل الفتح، وأن سنة الفتح أن يصلي عنده ثمان ركعات، ذكره الطبري في التاريخ عن الشعبي، قال: لما فتح خالد بن الوليد - رضي الله عنه - الحيرة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات، ولم يسلم فيهن، ثم انصرف. قال ابن بطال: هذا تأويل لا يدفع صلاة الضحى لتواتر الروايات بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعل السلف بعده (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٦٨/٣ - ١٦٩).

قلت: ولا ترد الأحاديث الصريحة الصحيحة باجتهاد خالد رضي الله عنه، وأيضا وردت الأحاديث الصحيحة أن صلاة الليل والنهار مثنى مثنى، منها:

١- حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: صلاة الليل والنهار مثنى مثنى (صحيح سنن ابن ماجه وغيره)، وكذلك ورد في رواية لحديث أم هانئ عن صلاة الضحى يوم فتح مكة، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى ثمان ركعات يسلم من كل ركعتين (صحيح سنن أبي داود).

٢- حديث أنس عن قصة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عتبان بن مالك رضي الله عنه (سبق)، وفيه قول أنس رضي الله عنه لما سئل: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قال: ما رأيته صلى غير ذلك اليوم. فأنس رضي الله عنه نفى ما لا يعلم.

٣- حديث عائشة رضي الله عنها لما سئلت: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت: لا، إلا أن يجئ من مغيبه (أي: من سفر) (صحيح مسلم).

قلت: وهذا ينضم إلى أحاديثها التي بينت فيها عدم مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى خشية أن تفرض على الأمة. وليس من شروط مشروعية العمل مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليه، قال ابن بطال: وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مرة اكتفت الأمة بذلك، فكيف وقد روى أبو هريرة وأبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أوصاهما بثلاث، منها ركعتا الضحى (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩٤/٣).

قلت: والراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه الجمهور من استحباب المواظبة عليها.

وقد استخدمنا مجموعة من القرائن نواصل عرضها في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالي، هذا والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله.

معنى البدع والابتداع وأدلة النهي عنها والتحذير منها

إعداد/ د. عبد الله شاكر

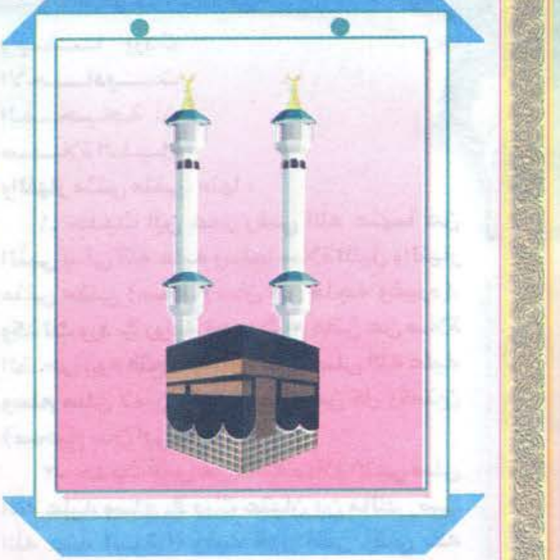

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما يزال الحديث متصلاً عن أمور العقيدة، وفي هذا العدد نتناول مفهوم البدع، وأحكام بدع العقائد، فنقول وبالله تعالى التوفيق.

تعريف البدعة:

(أ) البدعة لغة:

البدعة مصدر: بَدَعَ، وأصلُ استعمالها في لغة العرب أصلان:

أحدهما: ابتداء الأمر وصنعه لا عن مثال.

الآخر: الانقطاع والكَلال.

(ب) بيان معنى ودلالات لفظ البدعة وما اشتُقَّ منها:

البدعة: اسم يطلق على العمل المحدث ذاته والجمع بدع، ففي كتاب (العين): البدعة: «اسم ما ابتدع من الدين وغيره»، وفي (الصحاح): «البدعة الحدث في الدين بعد الإكمال».

(جـ) المعنى الاصطلاحي للبدعة إجمالاً:

اختلفت عبارات الناس سلفًا وخلفًا في تعريف البدعة الشرعية تبعًا لاختلاف تصورهم لماهية البدعة المنهي عنها، وتنوع مشاربهم؛ فالذي تلبس ببدعة عملية أو اعتقادية يحاول أن يصنع تعريفًا للبدعة يتلائم مع مسلكه، وهناك من التبس عليه فَهم بعض النصوص الواردة في السنة والبدعة، فوضَعَ تعريفًا أيضًا ملتبسًا؛ لأن الأمر قد التبس عليه في الفهم.

وهذا المعنى الاصطلاحي الذي نختاره كحدٍّ جامع مانع للبدعة المنهي عنها شرعًا، يلخص لنا ما ورد من نصوص شرعية، وأقوال مأثورة عن السلف في حوادث جزئية وحالات مفردة، أو بصيغ عامة وأقوال مطلقة مجملة أو مفصلة.

ومن هذه التعريفات الكلية الجامعة ما ذكره الإمام الشاطبي -رحمه الله- في كتاب (الاعتصام)؛ حيث بوب لتعريف البدعة بابًا مستقلًا، ذكر فيه معناها الاصطلاحي، وشرح التعريف وذكر محترزاته، وقد عرف البدعة بتعريفين.

بداية: عرفه - رحمه الله - على رأي مَن يقول بعدم دخول الابتداع في العادات والمعاملات، وإنما يخص هذا القائل البدعة بالعبادات فحسب؛ فبعض الناس يقول: إن العادات والمعاملات لا يدخل فيها الابتداع، والبعض يقول: إن العادات والمعاملات يدخل فيها الابتداع. وبناء على هذا الاختلاف عرَّف الشاطبي البدعة بتعريفين:

التعريف الأول: كان قائمًا على من يقول بأن البدعة تقع في العبادات فحسب.

وتعريف البدعة على ذلك قال فيها - رحمه الله -: «فالبدعة عبارة عن طريقة في الدين

مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه».

أما التعريف الثاني: فكان قائمًا على رأي من يقول بدخول الابتداع في الأمور العادية كدخوله في الأمور العبادية.

قال -رحمه الله-: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية».

هنا قال: يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية. وفي تعريفه لمعنى البدعة - على رأي مَن يخص البدعة بالعبادات - قال: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.

شرح التعريف، وبيان محترزاته:

قوله: «طريقة» يقصد بها السبيل والسنة؛ فالطريقة هي السبيل والسنة، وكل ما رسم للسلوك عليه أو اتخذ للتعبد به، سواء كان في المسائل العلمية أو المسائل العملية؛ يعد طريقة.

أما قوله: «في الدين» فهذا تقييد للطريقة المسلوكة بأنها في الدين؛ لأنها فيه تخترع، وإليه تنسب، وبه يلصقها مخترعها؛ فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسمَّ بدعة.

أما قوله: «تضاهي الشرعية» يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك؛ بل هي مضادة لها، يعني: مضادة للطريقة الشرعية؛ لأنها خارجة عليها وإن شابهتها، فإن صاحب البدعة إنما يخترعها - يعني: يأتي بها ويحدثها - يضاهي بها السنة، أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة؛ ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته؛ لأنه يظن أو يتخيل أنها من السنة؛ بل إن كل خارج عن السنة بشيء من الابتداع لا بد له من تكلف الاستدلال بأدلة السنة على خصوص هذه المسألة المبتدعة، وإلا لكذَّب اطراحه للدليل صدق دعواه، ونَقَضَ تَرْكه للسنة ما يدعيه من الدخول فيها والكَوْن من أهلها.

وهذا في الحقيقة واقع؛ فالمبتدعة في كل زمان ومكان يحاولون أن يلصقوا بدعتهم بالسنة؛ بل إنهم يقولون: إنهم يلتمسون أقوالهم وأفعالهم وسائر ما أتَوْا به من سنة النبي صلى الله عليه وسلم!!

هذا التعريف الذي ذكرناه وشرحناه الآن عن الإمام الشاطبي - رحمه الله تبارك وتعالى - يتفق مع تعريف مَن خَص البدعة بالدخول على العبادات.

أما تعريف البدعة لمن لم يخصها بالعبادات وأدخل فيها العادات وجعل العادات داخلة في التعريف؛ فقال فيه: يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

أما التعريف على مَن يقصر البدعة بالعبادات فحسب، فقال فيه: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله - تبارك وتعالى.

معنى قوله: «يقصد بالسلوك عليها»: أي: أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة ويرغب في ذلك، وربما يستدلون بقول الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كافٍ؛ يعني: ما جاءنا في الشرع بعد أن أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة يكفينا عن أن نبتدع أو نحدث في دين الله - تبارك وتعالى -.

أما في التعريف الثاني يدخل معها العادات، وقد قال في التعريف: «يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية».

والإمام الشاطبي - رحمه الله - عند شرحه لهذه العبارة الواردة في تعريفه قال: ومعناه: أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلهم وآجلهم؛ لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها؛ فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته؛ فإن تعلقت بالعبادات فإنما أراد بها أن يأتي تعبُّده على أبلغ ما يكون في زعمه، ليفوز بأهم المراتب في الآخرة في ظنه، وإن تعلقت بالعادات فكذلك؛ لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها.

وقد رجح الشاطبي - رحمه الله تبارك وتعالى - هذا التعريف الذي يقول بدخول البدع في العادات والمعاملات، وهذا الترجيح - أي: أن البدع تدخل في العادات والمعاملات - هو الصحيح الموافق لأدلة الشريعة والمتفق مع

أصولها وقواعدها والمطابق لمقاصدها.

وقد لخص - رحمه الله تبارك وتعالى - رأيه في هذه المسألة، وبَيَّنَ معنى القيد السابق بصورة أوضح حين قال:

ثبت في الأصول الشرعية أنه لا بد في كل عاديً من شائبة التعبد؛ لأن ما يُعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبدي، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي؛ فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدية، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والإجارات والجنايات كلها عادية؛ لأن أحكامها معقولة المعنى، ولا بد فيها من التعبد؛ إذ هي مقيدة بأمور شرعية لا خيرة للمكلف فيها...

إلى أن قال: فإن جاء الابتداع في الأمور العادية من ذلك الوجه صح دخوله في العاديات كالعبادات، وإلا فلا...

وهو يقصد بقوله: فإن جاء الابتداع في الأمور العادية من ذلك الوجه: يعني: وجه تقييد العاديات بالأمور المشروعة، أما إذا لم تقيد العاديات بالأمور المشروعة فهي مباحة.

أنواع البدع

(أ) ابتداع في العادات والمعاملات:

القسم الأول: ابتداع في العادات والمعاملات والأمور الدنيوية؛ كاختراع آلات النقل من طائرات وسيارات وقاطرات، وأجهزة الكهرباء وأدوات الطهي، والمكيفات التي تستعمل للتدفئة والتبريد، وآلات الحرب من قنابل وغواصات ودبابات، أو بناء المدارس والجامعات أو المباني العالية أو استعمال النظارات، كل هذا في العادات والمعاملات. وهذا مباح.

هذا من قسم المباح وإن سمي بالابتداع؛ لأن الأصل فيه الإباحة، وإذا تردد الأمر بين كونه عبادة أو عادة؛ فالأصل أنه عادة ولا يُنهى عنه حتى يقوم دليل على أنه عبادة، والأصل في المعاملات والأفعال والأعيان الإباحة والحل؛ حتى يقوم دليل على المنع، وذلك مثل رجل قال لصاحبه الذي نجا من هلكة: ما شاء الله، هنيئًا لك. فقال له الرجل: هذه بدعة. فهذا القول غير صحيح؛ لأن هذا من أمور العادة وليست العبادة، وكذلك التسابق والجري ولعب الرياضة؛ فلا يقول أحد بأن هذا بدعة؛ بل هي عادة ما لم يرتكب فيها محرم؛ فهو حرام، وليس بدعة.

أما الأمور العادية البعيدة والتي ليست مقيدة بالشرع؛ وذلك كأمور التعامل بين الناس ووضعهم وسَنِّهم لذلك قوانين تنظم معاملاتهم ولا تتعارض مع الشريعة الإسلامية؛ فهذا لا شيء فيه.

القسم الثاني: ابتداع في الدين، وهذا هو الذي نتحدث عنه ونحذر منه: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (الحجرات: ١)، وهذا الابتداع محرم؛ لأن الأصل في العبادات التوقف؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ومن كلامه صلى الله عليه وسلم في ذلك: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، وقد روَى هذا الحديث الترمذي وأبو داود وصححه، وقال صلى الله عليه وسلم: «من رغب عن سنتي فليس مني» متفق عليه.

(ب) وتنقسم البدع إلى نوعين:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية:

كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة والكرامية والصوفية، وسائر الفرق الضالة، واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات:

كالتعبد لله - تبارك وتعالى - بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة:

بأن يُحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صيامًا غير مشروع أصلًا، أو أعيادًا غير مشروعة كأعياد الموالد، ومثل الترهب والانقطاع للعبادة.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة:

بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً؛ فصلاة الظهر والعصر مشروعة ولكنها تُصلي

أربعًا؛ فإذا صلاها المصلي خمسًا فيكون قد ابتدع وزاد في العبادة المشروعة.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة:

بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج به المتشدد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذِّكْرُ مشروع والعبادة والنوافل والتقرب إلى الله - تبارك وتعالى - بها مشروعٌ؛ ولكن الإنسان إذا أتى بها على صفة غير مشروعة، كما يفعله المتصوفة اليوم عندما يأتون بالأذكار على هيئة معينة، يستمعون فيها، ويتمايلون عن اليمين وعن اليسار، وربما يصفقون، وربما يقولون أشعارًا وانشادًا؛ فهذه كلها من البدع؛ لأنها دخلت على الأصل الصحيح: ألا وهو الذكر؛ ولكنهم زادوا في صفة هذه العبادة المشروعة.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع:

كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن الأصل في القيام والصيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

٢-تقسيم آخر للبدع

البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية:

وهناك تقسيم آخر للبدعة إلى: حقيقية وإضافية.

قال العلامة الشاطبي - رحمه الله تبارك وتعالى - ما معناه:

البدعة الحقيقية:

وهي التي ليس لها أصل من كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من إجماع علماء المسلمين.

البدعة الإضافية:

وهي التي تكون ذات وجهين؛ فهي من وجه مشروعةٌ في الجملة، ومن وجه آخر واقعٌ صاحبها في بدعة، وقعت منه من حيث الزمن أو الكيفية؛ فإذا نظرت إلى الوجه الأول تقول: هي مندوبة مشروعة؛ لأنها وقعت من وجه مشروع، وإذا نظرت إلى الوجه الثاني - يعني: الإضافة التي وقعت عليها، أو الزمن الذي ارتبطت به، أو الكيفية أو الحالة التي أتى بها المبتدع - ترى أنها بدعة، وهذه مسألة مهمة، ولأهميتها سنذكر هنا بعض **الأمثلة على البدعة الإضافية:**

المثال الأول: الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الأذان بدعة حقيقية:

إذ ليس لها أصل من القرآن ولا من السنة ولا عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، أما بعد الأذان فَيُسن للمؤذن وللمستمع أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، أما رَفْع صوت المؤذن للصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الأذان فهذا بدعة، ومن هنا أصبحت بدعة إضافية؛ لأننا إذا نظرنا إلى مشروعية الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم وجدنا ذلك مشروعًا؛ بل مستحبًّا؛ حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم وإذا نظرنا إلى الجهر بالصلاة والسلام عليه بعد الأذان فوق المنابر وغير ذلك، نجد أن ذلك بدعة، ومن هنا نقول بأن هذا من البدع الإضافية.

المثال الثاني:

السنن الرواتب سنن مؤكدة باتفاق المذاهب؛ ولكنها مشروعة أن تصلى بالانفراد؛ فإذا صليت جماعة أصبحت بدعة بالنظر إلى الكيفية. فلم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى هذه السنن جماعةً بالمسلمين ولا صلاها أحدٌ من أصحابه؛ وبالتالي فإذا صلاها الإنسان وحده أتى بالسنة، أما إذا صلاها جماعة فنقول: هذا من البدع الإضافية.

المثال الثالث:

قراءة القرآن تسن، وفيها من الأجر العظيم ما لا يخفى على أحد، ولكن قراءة القرآن في السجود والركوع بدعة، وكونها بدعة من حيث المحل - يعني: أن هذا ليس مكانها - لا من حيث المشروعية؛ فقراءة القرآن مشروعة؛ بل من أقرب القربات إلى الله - تبارك وتعالى-

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

فقه التعامل بين المسلمين

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

تناولنا في الحلقة الماضية بعض الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم تجاه أخيه المسلم، وذكرنا من مستلزمات الأخوة الإيمانية إنزال الناس منازلهم، والتواصل وعدم الهجران ومراعاة أحوال الناس، ونستكمل اليوم ذكر بعض هذه الأخلاق، ومن ذلك:

وجوب النصح لكل مسلم

ومن مستلزمات الأخوة الإيمانية: النصح للمسلم وتوجيهه إلى الخير، وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على بعض أصحابه بذلك.

فهذا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وكان من الصحابة الذين آتاهم الله جمالاً، حتى كان بعض السلف يطلق عليه يوسف أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يقول عن نفسه: (ما رآني النبي صلى الله عليه وسلم إلا تبسم في وجهي) هذا الصحابي الجليل قال: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم).

ومن حق المسلم على أخيه: إذا استنصحه أن ينصح له، هكذا جاء في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا طلب منه العون أعانه، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى القوم الذين يمنعون الماعون عن إخوانهم بالذم فقال في سورة سماها بسورة الماعون: «أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ» (الماعون:١) إلى قوله: «الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» (الماعون:٦-٧) فالذين يمنعون الماعون عن إخوانهم المسلمين ذكروا بالذم في كتاب الله، والماعون: العارية التي تعار كالدلو والقدر ونحو ذلك.

إذاً: للأخوة مستلزمات: هل تحب لسائر المسلمين ما تحبه لأخيه من أمك وأبيك بل ما تحبه لنفسك؟ هذا منطوق حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس مفهومه: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) متفق عليه ، (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) رواه مسلم.

إعداد/ الشيخ مصطفى العدوي

أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك

منها: قول النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يبع بعضكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه) فكما أنك تحب أن تربح فتحب لأخيك الربح كذلك، وعليك أن تنصح وتبين له.

قال عليه الصلاة والسلام: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن نصحا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما) وكما أنك تحب أن تُستَر إذا أخطأت فلتحب لإخوانك ذلك أيضاً.

أما إذا أحببت لإخوانك الفضيحة فرب العزة يقول: « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (النور:١٩) «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أي: عذاب مؤلم موجع في الدنيا والآخرة «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النور:١٩).

هذه رموز وإشارات تكتشف بها نفسك يا عبد الله، فلن ينزل عليك وحي من السماء يقول لك: أنت على خير أو أنت محسن أو لست بمحسن، إنما هناك نصوص من كتاب الله طبقها على نفسك، فإن انطبقت عليك كنت من أهل الإيمان وإلا فراجع نفسك، وانظر إلى قلبك: هل أنت تحب لإخوانك المسلمين ما تحبه لنفسك، كما قال

نبيك محمد صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم -أي: لا يكمل إيمان أحدكم- حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

إن حل بك خير فأحببته لإخوانك مثلما تحبه لنفسك فأنت على خير، أما إن كنت تحب لنفسك الخير وتحب لإخوانك المصائب والشرور فأنت بعيد عن طريق أهل الإيمان، وعليك أن تلتمس الطرق التي توصلك إليه، وإذا أحببت لإخوانك الفضيحة وشعرت من قلبك بالسعادة للمصائب التي تحل بهم، كأن تشعر في نفسك بالسعادة لرسوب أخيك المسلم، أو لفشله في عمل من الأعمال، أو لكونه افتضح في الناس، أو لكونه ابتعد عن الخير فأنت على شر عظيم، وتذكر قول ربك: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النور:١٩).

وينبغي على المسلم عند تعامله مع إخوانه أن يعلم أن أخاه أحد رجلين: محسن أو مسيء، وأن الله لم يكتب العصمة لأحد من خلقه بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ومن أكثر معاتبة إخوانه جاء اليوم الذي لا يبقى له فيه أخ أو صاحب.

طيبة النفس في الأخذ والعطاء

ومنها: ألا تأخذ شيئاً من أخيك عن غير طيب نفس منه، فلا يبارك لك فيه: أخرج البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: (أتينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نستحمله) أي: نطلب منه أن يحملنا للجهاد على إبل الصدقة أو على خيل نجاهد عليها في سبيل الله، وهو في معنى قوله تعالى: «وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ » (التوبة:٩٢).

الشاهد: (أتينا إلى رسول الله نستحمله فقال: والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه، فانطلقنا، فأتي إلى رسول الله بخيل فدعانا وأعطانا خيولاً أو إبلاً نركب عليها للقتال فانصرفنا، فقلنا في طريقنا: استغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه) يعني: أخذنا من الرسول الخيل وكان قد أقسم أنه لا يبارك لنا في هذه الخيل فقالوا: (نرجع إلى رسول الله).

الشاهد: أن الصحابة تورعوا عن أن يكونوا قد أخذوا شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم على حين غفلة، أو على حين غرة، فكذلك لا تفعل مع إخوانك، فلا تستغفل أخاك حتى تأخذ منه حقاً ليس لك، أو شيئاً بغير طيب نفس منه.

(فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله! إنك أقسمت ألا تحملنا ثم حملتنا. فقال عليه الصلاة والسلام: إني والله ما حملتكم والله حملكم، وإني والله لا أحلف يميناً فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير).

ولذلك نجد أن من أخذ شيئاً من أخيه بنفس غير طيبة، أو عن شك أو ريبة في طيبة نفسه بذلك الشيء، نجده في قلق دائم، ولا يبارك له في هذا الشيء والمقدر سيكون، ولا يظن أحدنا أن ملازمة الورع تنقص الرزق، فهذا خطأ بين، فلا يحمل أحدنا استبطاء الرزق على أن يستغفل الناس أو أن ينال الرزق بمعصية الله سبحانه.

الملاطفة وجبر الخاطر

ومنها: الملاطفة في القول وجبر الخاطر: يوجد في شرعنا في تعاملنا مع الناس لكسب قلوبهم ما يسمى بجبر الخاطر، له أدلة من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن أدلتها من الكتاب: « وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ » (البقرة:٢٤١) فجبر خاطر المطلقة بالمتعة.

« وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا» (النساء:٨)

يعني: الفقراء المساكين إذا حضروا تقسيم التركة فلا بأس أن يجبر خاطرهم بشيء من المال.

ومن العلماء من قال: إن خاطر إبراهيم صلى الله عليه وسلم جبر لما لم يؤمن به إلا القليل، فجبر الله خاطره بأن جعل كل الأنبياء الذين جاؤوا من بعده من ذريته عليه السلام، « وَجَعَلَهَا » (الزخرف:٢٨) أي: كلمة التوحيد «كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى

عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ » (الزخرف:٢٨).

وجبر خاطر الصديق يوسف صلى الله عليه وسلم لما سجن واتهم بأن جعله عزيزاً على مصر، فجاء إخوته يقولون كما قال الله: « فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ » (يوسف:٨٨).

فاجبر خاطر الناس ولو بكلمة طيبة، فهي في بعض الأحيان تقوم في مقام جبر الخاطر أفضل من آلاف الجنيهات، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما قسم الغنائم، أعطى قوماً ضعفاء الإيمان وأكرمهم عليه الصلاة والسلام غاية الكرم، ومنهم عيينة بن حصن أعطاه مائة من الإبل، الأقرع بن حابس مائة من الإبل وغيرهم وغيرهم من المنافقين أو ضعاف الإيمان، وممن أكرمهم: رجل اسمه عمرو بن تغلب كان جالساً ولم يأخذ من الغنيمة إلا الشيء اليسير جداً إن ذكر، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (والله إني أعطي قوماً وغيرهم أحب إلي منهم، أعطي قوماً وأكل قوماً إلى ما في قلوبهم من إيمان منهم عمرو بن تغلب، فكان عمرو يقول: والله هذه الكلمة لي من رسول الله أحب إليّ من حمر النعم) يعني: إذا أعطي عمرو بن تغلب مليون جمل لا تعدل عنده هذه الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالكلمة الطيبة تجبر الخاطر، أفضل من كثير من المال، ومن ثم قال تعالى: « قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ » (البقرة:٢٦٣).

وهذه فضيلة باقية لعمرو بن تغلب إلى يوم القيامة، ندارسها نحن وحديثها في البخاري ويدارسها من بعدنا إلى يوم القيامة، وهي شهادة من رسول الله لعمرو بن تغلب رضي الله تعالى عنه، فالكلمة الطيبة صدقة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، وتؤتي أكلها في الناس بإذن الله، ولكن المهتدي إليها من هداه الله، والله يقول: « وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ » (الحج:٢٤)

فسل الله أن يهديك لهذه الكلمات الطيبة.

يقول الله عز وجل: « إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ » (فاطر:١٠) أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، تتكلم بكلام طيب وتتبعه بعمل صالح العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله سبحانه وتعالى، والله يقول: « أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ » (إبراهيم:٢٤-٢٥) وإن كان أكثر العلماء على تفسير الكلمة الطيبة بلا إله إلا الله.

تخرج من اللسان، أصلها ثابت في القلب، وفرعها في السماء، تصعد ثمرتها إلى السماء وتتقبل، وتفتح لها أبواب السماء، لكن مع هذا القول بأنها لا إله إلا الله لا مانع من دخول غيرها معها، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (الكلمة الطيبة صدقة) والآية عامة « أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ » (إبراهيم:٢٤) فلا إله إلا الله أفضل كلمة، ويلتحق بها عموم الكلم الطيب وإن كان دونها في الفضل.

هذه بعض الملاحظات التي نريد أن ننبه عليها، والباب واسع، ولكن كلل أعمالك برحمة العباد والعفو عن الناس.

وتحضرنا واقعة (وإن لم يكن إسنادها صحيح) ولكن نأخذ منها العبرة: ذكر عدد من المفسرين في تفسير قوله تعالى: « وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ » (آل عمران:١٣٤) أن رجلاً من التابعين كان عنده أضياف فأتته جاريته بمرق حار فمن ربكتها سقط منها المرق على الأرض فتغيظ عليها سيدها، وقام ليلطمها.

فقالت: « وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ » (آل عمران:١٣٤) فسكت، فخشيت بعد ذلك أن يضربها فقالت: « وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ » (آل عمران:١٣٤) حتى تأخذ منه وعداً أنه لا يضربها فيما بعد، فقال: قد عفوت عنك.

فقالت: « وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ » (آل عمران:١٣٤)

قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وهكذا كان الناس وقافين عند كتاب الله سبحانه وتعالى.

ومن هذه القصة نأخذ: فضل الفقه الذي كان سبب نجاة وعتق هذه الأمة رضي الله عنها وعن سيدها.

فجدير بنا معشر الإخوة أن نتخلق بخلق رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن نتبع سنته وأثره.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

نظرات في سيرة الرسول
صلى الله عليه وسلم

إلا تنصروه فقد نصره الله

غزوة غطفان بذي أمرّ ٣هـ

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ» الأنفال:٦٤.

وقال له أيضًا: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» التوبة:٤٠.

وقال جل شأنه: «فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ» (التحريم:٤).

وجمع سبحانه وتعالى تأييده وحفظه لنبيه في تلك الكلمات: «وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ» المائدة:٦٧.

وفي القصة الآتية، والسيرة العطرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم نرى درسًا بليغًا في استحضار عظمة الله تعالى ومعيته لأوليائه بالنصر والتأييد، ومنعته لرسوله صلى الله عليه وسلم.

ذكر الواقدي رحمه الله تعالى عن عدد من شيوخه قالوا: «بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعًا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب بذي أمرَّ (وهي بلدة قرب بلدة النخيل على طريق نجد) قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف (جيش) رسول الله صلى الله عليه وسلم، معهم رجلٌ منهم يُقالُ له دعتور بن الحارث بن محارب، فندب (استدعى) رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين، فخرج في أربعمائة رجل وخمسين رجلاً ومعهم أفراس.. إلى أن قال الراوي: وهربت منه الأعراب فوق ذُرَى من الجبال (وهذا تصديق قول رسولنا صلى الله عليه وسلم: ونُصرت بالرعب مسيرة شهر. ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمرَّ (مكان) وعسكر به. فأصابهم مطرٌ كثيرٌ، (وهذا تصديق قوله سبحانه: «وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ» الأنفال:١١.

فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها. (وهنا يظهر جانب من جوانب عظمة النبي وتواضعه، فهو أعظم الناس على الإطلاق، وأعظم من كل ملوك الدنيا وحكامها؛ مسلمهم وغير مسلمهم، ثم هو يخلع ثوبه المبتل، وينشره على أغصان الشجرة ليجف من الماء، واضطجع على الأرض في انتظار ذلك، وكل ذلك يفعله بنفسه دون الاستعانة بأحد، فليتعظ

المسرفون والمترفون؛ ممن عظمت الدنيا في نفوسهم).

قال الواقدي: والأعرابُ (المشركون) ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت الأعراب لدعثور (أحد رجالها) وكان سيدها وأشجعها: قد أمكنك محمد (من نفسه)، وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوث (استغاث) بأصحابه لم يغث (لم يجدوا السرعة في إغاثته لبعد مكانه عنهم) حتى تقتله، فاختار سيفًا من سيوفهم صارمًا، ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهورًا، فقال: يا محمد من يمنعك (يمنع عنك القتل) مني اليوم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الله عزَّ وجلَّ يمنعني، (وهذا تصديق قول الله تعالى: «وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ» المائدة:٦٧.

حماية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

نعم دفع الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم تسلط هذا الأعرابي الكافر، وقد تمكن بسفيه من اغتيال الرسول عليه الصلاة والسلام، كيف لا وقد حماه الله تعالى في أهون الأحوال مع بعض نسائه وقد صغت قلوبهما ومالت عما يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحبتا ما كرهه من اجتناب جاريته واجتناب العسل، فقال سبحانه لنساء النبي صلى الله عليه وسلم: «وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ» التحريم:٤.

فكان الله تعالى وليه وناصره حين تظاهر عليه بعض نسائه؛ أفلا يمنع الله تعالى ما يناله المشركون منه؟! قال الواقدي: ودفع جبريل في صدره، (صدر الأعرابي الكافر) فوقع السيف من يده، فأخذه (أخذ السيف) رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه (على رأس الأعرابي الكافر)، فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لا أكثر عليك جمعًا أبدًا (أي لا أحرض عليك جيشًا معاديًا لك)، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، (وهذا من كريم خلقه، وجميل عفوه وصفحه)، ثم أدبر (الرجل)، ثم أقبل بوجهه، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم: والله لأنت خير مني. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بذلك منك (أي أحق بالعفو والصفح الجميل). فأتى (الأعرابي) قومه، فقالوا: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك، (يعني يقولون له: أين تمنيك أن تقتل محمدًا وقد مكنك محمد من نفسه بنومه تحت الشجرة وقد علوته بالسيف؟) قال: قد كان والله ذلك رأيي (مرادي وقصدي)، ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل (وهو جبريل عليه السلام)، فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمدًا رسول الله، والله لا أكثر عليه، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام.

قال الواقدي: وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم (عن المدينة) إحدى عشرة ليلة. واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

قال البيهقي: وقد رُوي في غزوة ذات الرقاع قصة أخرى في الأعرابي الذي قام على رأسه بالسيف، وقال: من يمنعك مني؟ فإن كان الواقدي قد حفظ ما ذكر في هذه الغزوة فكأنهما قصتان، والله أعلم.

في السيرة العطرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم نرى دروسًا بليغة في استحضار عظمة الله تعالى ومعيته لأوليائه بالنصر والتأييد، ومنعته لرسوله صلى الله عليه وسلم.

دلائل النبوة للبيهقي محققًا، ٣/١٦٨، ١٦٩.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعًا، لأنَّ ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضًا، لم يُسلم بل استمر على دينه، ولم يكن عاهد النبي صلى الله عليه وسلم ألا يقاتله. والله أعلم. السيرة لابن كثير ٣/٤.

قال القاضي عياض : وقد رُويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه، وقال: جئتكم من عند خير الناس. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٦٨١.

وعند ابن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمدٍ؟ قالوا: كيف تقتله؟ فقال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو جالس وسيفه في حجره- فقال: يا محمد! انظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم، وكان محلى بالفضة فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله، فقال: يا محمد! ألا تخافني؟ قال: لا، وما أخاف منك، قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني منك، ثم غمد السيف ورده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ »[المائدة:١١

(إمتاع الأسماع: ٤/١١٨.

قال الشيخ محمد أبو زهرة: نعم كانت أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم دعامة الدعوة، فسار بسنة العفو عن الإساءة، والإعراض عن الجاهلين استجابة لقوله سبحانه: « خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ » الأعراف:١٩٩ وقد كان ذلك الخلق يجذب الناس إلى الإيمان من غير دليل ولا برهان، وإن كان الحق واضحًا في ذاته، وزاده وضوحًا خلق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وفي تلك الواقعة كان العفو فيها داعية الإسلام، تصدى أعرابي ليفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة في القيلولة، والناس قائلون، فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم، والسيف مُصْلَتٌ على رأسه في يد الرجل، وهو يقول: من يمنعك مني؟ فقال عليه الصلاة والسلام بقلب مؤمن ولسان صادق: « الله » . فسقط السيف من يد الرجل. فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال: « من يمنعك مني؟ » قال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فدنا قلب الرجل بعد نفور، وصار داعيةً لمحمد صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يريد قتله، فقد ذهب الرجل إلى قومه يحببهم في محمد عليه الصلاة والسلام ودينه، يقول: « جئتكم من عند خير الناس ».

فوائد من القصة:

١- هروب الأعراب من فوق ذرى الجبال قبل أن يصلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه يؤيد ما قاله الله تعالى في شأن الكافرين حين يسمعون بقدوم جيش المسلمين: « سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ » الأنفال:١٣.

وهذه سنة وطبيعة عند أهل الشرك حيال أهل الإسلام الحق

> تجرأ أعداء الملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم برسوم مهينة مشينة، وبالتهكم والسخرية والاستهزاء، متجرئين في ذلك لا يخافون ولا يستحون، وسبب جرأتهم هذه بخلاف سابقيهم أنهم أمنوا بأس المسلمين.

الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وليس مجرد الانتماء لهذا الدين دون استقامة عليه، وفي أيامنا هذه تجرأ أعداء الملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم برسوم مهينة مشينة، وبالتهكم والسخرية والاستهزاء، متجرئين في ذلك لا يخافون ولا يستحون، وسبب جرأتهم هذه بخلاف سابقيهم أنهم أمنوا بأس المسلمين، ورأوا ضعفهم وتفرقهم وانكبابهم على الدنايا الحقيرة من الدنيا، وعدم تعظيمهم لدينهم وحرماته وشعائره، فوقعت فيهم سنة الله تعالى الجارية وهي نزع هيبة أعداء المسلمين من المسلمين بسبب ما ألقي في قلوب المسلمين من الوهن الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت في سبيل الله، وفي ذلك جاء نص رسول الله صلى الله عليه وسلم يشخص الداء ويصف له الدواء.

عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومِنَ قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت».

سنن أبي داود: ١١١/٤، وصححه الألباني.

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». سنن أبي داود: ٢٧٤/٣، وصححه الألباني.

٢- ولينصرن الله من ينصره، وقد ظهر هذا لما خرج المسلمون لنصر الله تعالى سخر لهم جندًا من جنوده، وهو المطر الذي يرسله الله تعالى ليثبت به الأقدام والقلوب، ويسقي به الأرض والجنود، وهو بعدُ يطمئن المسلمين ويبشرهم أن الله تعالى معهم.

٣- قيام النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه على أمره وهو السيد المطاع الذي يتشرف ويتمنى أعلى المؤمنين قدمًا خدمته والقيام على أمره، وهذا درس للمتعاظمين المنتفخين ممن ينتسبون إلى شريعته وملته.

٤- ليعلم المسلمون أن المشركين لا يزالون بهم حتى يردوهم عن دينهم، وهم لذلك حريصون كل الحرص على اغتنام كل فرصة للنيل من الإسلام ورسوله وأهل الملة جميعًا، إذا علموا ذلك لم يركنوا إليهم فعاملوهم على حذر من غيلتهم، فأمنوا مكرهم وخيانتهم.

٥- نزول جبريل للحماية والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى معه ومؤيده وناصره، إضافة لعلمنا أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لن ينال منه أحد، وأن الذين يؤذونه سيخذلهم الله تعالى ويخزيهم في الدنيا، ويهينهم في الآخرة، «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا» الأحزاب:٥٨.

والعار والمشكلة الكبرى فيمن خذلوه من أهل ملته، فلم ينصروه باتباع سنته، وإشاعة طريقته، فكيف سيعالجون هذا الخلل الشنيع وقد علموا أن عدم عنايتهم بدينهم وتعظيم حرماته هو سبب جرأة المشركين عليهم وعلى رسولهم صلى الله عليه وسلم.

والله من وراء القصد.

> **ليعلم المسلمون أن المشركين لا يزالون بهم حتى يردوهم عن دينهم، وهم لذلك حريصون كل الحرص على اغتنام كل فرصة للنيل من الإسلام ورسوله وأهل الملة جميعًا.**

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة سكن موسى (عليه السلام) في ظل العرش

الحلقة ١٧٥

إعداد/ **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت ألسنة القصاص والوعاظ نتيجة وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: المتن:

رُوي عنِ أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ مُوسَى بْنَ عمْرَانَ كَانَ يَمْشي ذَاتَ يَوْم في الطَّرِيق ، فَنَادَاهُ الْجَبَّارُ: يَا مُوسَى ، فَالْتَفَتَ يَمِينًا وَشمَالا فَلَمْ يَرَ أحَدًا، ثُمَّ نَادَاهُ الثَّانِيَةَ: يَا مُوسَى بْنَ عمْرَانَ ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرَ أحَدًا وَارْتَعَدَتْ فَرَائصُهُ، ثُمَّ نُوديَ الثَّالثَةَ: يَا مُوسَى بْنَ عمْرَانَ ، إنّي أنَا اللَّه لا إلَهَ إلا أنَا ، فقَالَ: لَبَّيْكَ ، وَخَرَّ للَّه ، عَزَّ وَجَلَّ ، سَاجدًا ، فَقَالَ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُوسَى بْنَ عمْرَانَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ: يَا مُوسَى ، إنْ أَحْبَبْتَ أنْ تَسْكُنَ في ظلّ عَرْشي يَوْمَ لا ظَلَّ إلا ظلّي فَكُنْ للْيَتيم كَالأَب الرَّحيم، وَكُنْ للأَرْمَلَة كَالزَّوْج الْعَطُوف، يَا مُوسَى ، ارْحَمْ تُرْحَمْ ، يَا مُوسَى، كَمَا تَدينُ تُدَانُ ، يَا مُوسَى ، نَبّئْ بَني إسْرَائيلَ مَنْ لَقيَني وَهُوَ جَاحدٌ بمُحَمَّد أدْخَلْتُهُ النَّارَ وَإنْ كَانَ إبْرَاهيمَ خَليلي أوْ مُوسَى كَليمي، قَالَ: إلَهي ، وَمَنْ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: وَعزَّتي وَجَلالي ، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أكْرَمُ عَلَيَّ منْهُ ، كَتَبْتُ اسْمَهُ في الْعَرْش قَبْلَ أنْ أَخْلُقَ السَّمَوَات بأَلْفَيْ أَلْف سَنَة „ (ابن أبي عاصم) في السنة من حديث أنس، وفيه سعيد بن موسى وأبو أيوب سليمان بن أبي سلمة الخبائري وقد صرح الذهبي في الميزان بأنه موضوع (قلت:) كلام السيوطي يشعر بأن هذا هو الحديث كله وقد أشار الذهبي في الميزان إلى أن هذا ليس هو جميع الحديث، فقال بعد ما ذكره وذكر حديثا طويلا وقد راجعت كتاب السنة فوجدته ذكر بعد ما مر: وعزتي وجلالي إن الجنة لمحرمة على

جميع خلقي حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، قال موسى: ومن أمة محمد؟ قال: أمته الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله، قال: إلهي اجعلني نبي تلك الأمة، قال: نبيها منها، قال: اجعلني من أمة ذلك النبي، قال: استقدمت واستأخر يا موسى ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال".

ثانيا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧هـ في كتابه «السنة» (ح٦٩٦) قال: «حدثنا أبو أيوب الخبائري، حدثنا رباح بن زيد عن معمر، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن موسى بن عمران كان يمشي ذات يوم في الطريق فناداه الجبار...» الحديث.

ثالثا: التحقيق:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة لا يصح، وهو خبر تالف موضوع، وبرهان ذلك ما به من العلل:

العلة الأولى: سعيد بن موسى.

١- لقد بيّن الإمام الحافظ ابن حبان أن سعيد بن موسى هذا يأتي بأصح الأسانيد فيركب عليها متونًا موضوعة.

فقد أخرج الحاكم في «معرفة علوم الحديث» النوع (١٨) عن الإمام البخاري قال: «أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر».

ومع هذا فقد ركب عليه سعيد بن موسى متنًا موضوعًا كشف عاره، وبيّن عواره الإمام الحافظ ابن حبان في كتابه «المجروحين» (٣٢٢/١) قال: «سعيد بن موسى الأزدي يروي عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لولا المنابر لهلك أهل القرى»، حدثنا الهمداني، حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري، حدثنا سعيد بن موسى عن مالك به. فلست أدري وضعه سعيد بن موسى أو سليمان بن سليمان بن سلمة؛ لأن الخبر في نفسه موضوع ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من حديث ابن عمر، ولا من حديث نافع، ولا من حديث مالك، وسليمان بن سلمة ليس بشيء، فليس يخلو الخبر من أن يكون مما عمله أحدهما. انتهى كلام الإمام ابن حبان.

٢- ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (١٥٩/٢ /٣٢٨٠) قال: «سعيد بن موسى الأزدي اتهمه ابن حبان بالوضع وساق له من حديث سليمان بن سلمة الخبايري وهو ساقط، والذي بيناه آنفًا من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر، ثم ذكر له حديث آخر بنفس السند من منكراته، ثم ساق له هذا الخبر الذي جاءت له هذه القصة، حيث قال: قال له ابن أبي عاصم في السنة... ثم ذكر القصة بالسند الذي أوردناه آنفًا عن ابن أبي عاصم، ثم قال الإمام الذهبي: موضوع». اهـ.

قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه».

قلت: هذا ليتبين للقارئ الكريم المعنى الاصطلاح للحديث الموضوع، ورتبته، وحكم روايته تيسيرًا على كثير من القراء.

العلة الثانية: أبو أيوب الخبائري.

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٢١/٤): «سليمان بن سلمة الخبائري أبو أيوب الحمصي سمع منه أبي ولم يحدث عنه وسألته عنه فقال: متروك الحديث لا يشتغل به»، فذكرت ذلك لابن الجنيد، فقال: «كان يكذب ولا أحدث عنه بعد هذا». اهـ.

٢- قال ابن عدي في «الكامل» (٢٩٣/٣) (٧٦٣/٣١): «سليمان بن سلمة الخبائري حمصي يكنى أبا أيوب له غير حديث أنكرت عليه».

٣- قال الإمام النسائي في «المجروحين» (٢٥٣): «سليمان بن سلمة الخبائري: ليس بشيء».

رابعًا: دراسة تحليلية لسند القصة:

هذه دراسة تحليلية لسند الخبر الذي جاءت به هذه القصة لتطبيق قول الإمام الحافظ ابن حبان والذي أوردناه آنفًا على هذه القصة، وذلك لاشتراك السندين في العلة المزدوجة: الأولى: سعيد بن موسى الأزدي، والثانية: سليمان بن سلمة أبو أيوب الخبائري، ثم تركيب هذه العلة المزدوجة على سند صحيح لا يكشفه إلا المتبحر في الصناعة الحديثية.

وهذا هو البيان لسند القصة:

١- سند القصة الذي أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (ح٦٩٦) قال: حدثنا أبو أيوب الخبائري حدثنا سعيد بن موسى حدثنا رباح بن زيد عن معمر عن الزهري عن أنس مرفوعًا.

٢- حدث تصحيف في السند في بعض طبعات كتاب السنة لابن أبي عاصم حيث إن الراوي أبا أيوب الخبائري صُحِّف إلى أبي أيوب الخبائري برهان هذا التصحيف ما أوردناه آنفًا من أقوال الأئمة الحفاظ: الإمام النسائي، والإمام ابن حبان، والإمام ابن أبي حاتم، والإمام ابن عدي، وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣/٥٤) (٣٧٥٤/١٧١): «سليمان بن سلمة الخبائري وهو أبو أيوب شيخ ابن أبي عاصم». اهـ.

ويسمى هذا تصحيف إسناد وبصر ولفظ نتج عن تحريك النقطتين.

٣- أبو أيوب الخبائري وهو سليمان بن سلمة الحمصي روى عن سعيد بن موسى الأزدي فهاتان علتان مزدوجتان كل منهما تزيد القصة وهنا على وهن فهما متهمان بالوضع والكذب كما بيَّنا آنفًا.

٤- أما ما فوق سعيد بن موسى الأزدي.

أ- رباح بن زيد: قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٤٢/١): «رباح بن زيد القرشي مولاهم للصنعاني ثقة فاضل، روى له أبو داود والنسائي». اهـ.

وقال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٨٢٧/١١٥/٦): «روى عن: معمر بن راشد وآخرين، وروى عنه: سعيد بن موسى الأزدي وآخرين».

ب- أما ما فوق رباح بن زيد (معمر عن الزهري عن أنس مرفوعًا).

هذا الجزء من السند على شرط الشيخين؛ حيث إنه أخرج الشيخان حديث ذكر الساعة قال: «إن فيها أمورًا عظامًا».. الحديث. كما بينه الإمام الحافظ المزي في «تحفة الأشراف» (٣٩٢/١) (ح١٥٣٨).

٥- فقد ركب سعيد بن موسى الأزدي على هذا السند الصحيح هذه القصة الواهية.

وهنا ينطبق قول الإمام الحافظ ابن حبان الذي ذكرناه آنفًا على هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية الموضوعة ونذكره مطبقين لاشتراكهما في العلة: «فلست أدري وضعه سعيد بن موسى، أو سليمان بن سلمة أبو أيوب الخبائري لأن الخبر في نفسه موضوع ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من حديث أنس، ولا من حديث الزهري، ولا من حديث معمر ولا من حديث رباح بن زيد وسليمان بن سلمة ليس بشيء، فليس يخلو الخبر من أن يكون مما عمله أحدهما».

خامسًا: الرد على ادعاء المستشرقين أن المحدثين لم يعتنوا بالنقد الداخلي . ومن مزاعم المستشرقين وعلى رأسهم المستشرق «شاخت» .

ما دعاه- جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن». اهـ.

قلت: هذا الافتراء تولد من عدم دراية هؤلاء بعلوم الحديث، في وقت اغتر فيه طالب العلم بحفظ نظم أو مختصر فتوهم أنه صار ابن حجر، وعند التطبيق يرسب ويظهر جهله، فراح من لا علم له بمناهج المحدثين في الجرح والتعديل يردد طعون سابقة من المستشرقين، والكتاب المأجورين وأهل الكلام والشيوعيين

الذين يدفعون بهؤلاء في الافتراء على ثوابت الدين والطعن في السنة وجبال حفظها الأئمة الحفاظ، خاصة في هذه الآونة من تلك الموجات الطائشة على صفحات بعض الجرائد اليومية، والقنوات الفضائية يُرددون مقالات متبوعيهم من المستشرقين يريدون أن يطفئوا نور السنة. «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ » (التوبة:٣٢).

فهذه الفرية مردود عليها حيث تصدى أئمة الحديث لكل من النقد الداخلي والخارجي والمتبحر في الصناعة الحديثية يرى ذلك واضحًا تمام الوضوح، ألم تر قول الإمام الحافظ ابن حبان في بحثنا هذا وهو أكبر رد على هذه الفرية حيث قال في «المجروحين» (٣٢٢/١): «فلست أدري وضعه سعيد بن موسى أو سليمان بن سلمة- أبو أيوب الخبائري- لأن الخبر في نفسه موضوع ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من حديث ابن عمر، ولا من حديث نافع، ولا من حديث مالك، وسليمان بن سلمة ليس بشيء، فليس يخلو الخبر من أن يكون مما عمله أحدهما». اهـ.

قلت: وعندما انطبقت هذه العلة المزدوجة على الخبر الذي جاءت به هذه القصة (الإمام الذهبي في «الميزان»: ٣٢٨٠/١٥٩/٢) في ترجمة سعيد بن موسى الأزدي وطبق حكم الإمام الحافظ ابن حبان مبينًا أن هذا الخبر موضوع.

قلت: هكذا حاولت أن أبين من خلال التحقيق لهذه القصة الرد على ادعاء المستشرقين أن المحدثين لم يعتنوا بالنقد الداخلي: «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » (الكهف:٥).

وأخذ أهل البدع يرددون هذه الفرية ليطعنوا بأهوائهم في السنة في الصحف والقنوات خاصة في هذه الأيام، وعلى قدر ما يتاح لنا من سطور بينا مناهج المحدثين من أئمة الجرح والتعديل في نقد المتون، ولكن أهل البدع في ظلمات جهلهم لا يبصرون.

يا ليتهم احتفظوا لأنفسهم ببدعهم وافتراءاتهم ولكن أخذوا يدعون إليها في الصحف والمجلات، بل وفي القنوات للإفساد والتشكيك في الثوابت، مما جعل وزارة الأوقاف تصدر بيانها يوم الجمعة ٢٨ من محرم ١٤٣٦هـ، مع التنبيه على أن تكون خطبة هذه الجمع في جميع مساجد مصر عن هذا البيان والذي جاء فيه:

«ومن صور الإفساد: التشكيك في الثوابت، فلقد خرج علينا رويبضة يطعن في صحيح الإمام البخاري قاصدًا إثارة الفتنة والتشكيك وزعزعة الأمن الفكري للمجتمع بقول أحدهم: إن صحيح البخاري مسخرة للإسلام والمسلمين لأنه يضم بعض الخرافات».

قلت: ولقد وفق الله وزارة الأوقاف المصرية- حفظها الله- في الرد على هذا الباطل بهذا البلاغ المبين في الدفاع عن ثوابت الدين، قالت: «وإننا نؤكد أن إطلاق لفظ مسخرة على صحيح البخاري لا يصدر إلا عن فاسق أو زنديق». اهـ.

قلت: ولا عجب من هذا الرد فقد وافق رد إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقد أخرج الإمام الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٤) قال: سمعتُ أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد، يقول: سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي فتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه، فقال: زنديق! زنديق! زنديق! ودخل البيت». اهـ.

ثم قال الإمام الحاكم: «سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في دنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

طرفاً من أقوال أئمة أهل السنة في وصم منكري صفات (الفوقية والقرب والمعية) له تعالى، أو حامليها على غير ما هي له، بالتجهم

الحلقة (١١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله صحبه ومن والاه.. وبعد، فنستكمل - بفضل الله وعونه - ما وقفنا عنده من مقولات ونصوص أئمة السنة، في وصمهم القائلين بـ (معيته تعالى بذاته مع مخلوقاته)، بالتجهم.. وفي بيان أن لازم قولهم: نفي فوقيته تعالى واستوائه على عرشه، وتحريف ما جاء في ذلك من نصوص الوحي بتأويلها وإخراجها عن ظاهرها الى المجاز دون ما قرينة تدل على صدق قولهم.

إعداد/ **د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

ونذكر الآن طرفاً من أقوال أئمة السنة في القرن الرابع الهجري وما تلاه، في وصم منكري صفات الفوقية والمعية، بالتجهم:

ومن ذلك ما ذكره الإمام البربهاري شيخ حنابلة عصره ببغداد (ت ٣٢٩)، وذلك في كتابه (شرح السنة) ص ٩، قال - وقد نقله عنه القاضي أبو الحسين في طبقات الحنابلة والذهبي في العلو ص ١٦٤ -: "الكلام في الرب - يعني: فيما قالته الجهمية ومن لف لفهم، على خلاف أهل السنة - محدَث، وهو بدعة وضلالة، ولا يُتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه.. يعلم السر وأخفى، وعلى عرشه استوى، وعلمه بكل مكان ولا يخلو منه مكان، ولا يقول في صفات الرب: لمَ؟ ولا كيف؟، إلا شاك في الله تبارك وتعالى"ا.هـ..

وقد ساق محدّث أصبهان العلامة القاضي أبو أحمد العسال (ت ٣٤٩) في كتابه (المعرفة)، ما ورد في ذلك من أقوال أئمة السلف، ثم ذكر فيما ذكر - كالمستشهد على ما ساقه عن الأئمة - حديث ابن مسعود الذي فيه: (والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم).

ومما قاله الآجري (ت ٣٦٠) في (الشريعة) ص ٢٧٧ تحت باب (في التحذير من مذهب الحلولية) ونقله عنه الذهبي في العلو وابن القيم في اجتماع الجيوش: "الذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله على عرشه فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما في سبع أراضين، وما بينهما وما تحت الثرى، ترفع إليه أعمال العباد، فإن قال قائل: ما معنى قوله: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) (المجادلة: ٧)؟ قيل له: (علمه، والله على عرشه وعلمه محيط بهم)، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم، وهو على عرشه، هذا قول المسلمين"، وقال - رحمه الله - ص ٢٨٦ بذات المصدر: "ومما يُلبِّسون به علي من لا علم معه، قوله عز وجل: (وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ) (الأنعام/ ٣) وقوله: (وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ) (الزخرف/ ٨٤).. وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة، وهو عند أهل العلم من أهل الحق ومما جاءت به السنن: أن الله على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه يعلم ما تسرون وما تعلنون، يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون"، وإنما ذكر الآجري كل ذلك إبّان كشفه أمر الحلولية الذين "لبَّسوا على السامع منهم بما تأولوا، وفسروا

القرآن على ما تهوى نفوسهم، فضلوا وأضلوا، فمَن سمعهم من جهلة العلم، ظن أن القول كما قالوه، وليس هو كما تأولوه عند أهل العلم"ا.هـ

وفي كلام لابن بطة العكبري (ت ٣٨٧) في كتابه الإبانة ٣/ ١٣٦ وما بعدها، وتحت باب (الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بخلقه)، يقول رحمه الله وقد نقله عنه الذهبي في العلو ص ١٧٠: "أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، فأما قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ) (الحديد/ ٤)، فهو كما قال العلماء: علمه، وأما قوله: (وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ) (الأنعام/ ٣)، فمعناه: أنه هو الله - المعبود - في السموات، وهو الله - المعبود - في الأرض، وتصديقه في كتاب الله: (وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ) (الزخرف/ ٨٤).

واحتج الجهمي بقوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)، فقال: (إن الله معنا وفينا)، وقد فسر العلماء أن ذلك (علمه)، حيث قال في آخرها (إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة/ ٧)"، وساق - رحمه الله - ذلك بإسناده عن الضحاك والثوري وابن حماد وابن حنبل وابن راهويه.. وقد سبق أن ذكرنا لابن منده (ت ٣٩٥) قوله فيما نقله عنه الذهبي في العلو ص ١٧١ والأصبهاني في الحجة١/ ١٨٥ -: "هو تعالى موصوف غير مجهول، وموجود غير مدرك، ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه، قريب غير ملاصق وبعيد غير منقطع، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تطيقه - أي: لا تقوى على إدراكه - وهو بكل شيء محيط".

ومن جليل ما ذكره الباقلاني (ت ٤٠٣) في كتابه (الإبانة) وقد نقله عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥/ ٩٨ والذهبي في العلو ص ١٧٤ وابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١٢٠ وغيرهم: "فإن قيل: هل تقولون إنه في كل مكان؟، قيل له: معاذ الله، بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه وقال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه/ ٥) وقال: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ) (فاطر/ ١٠) وقال: (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) (الملك/ ١٦)، ولو كان في كل مكان، لكان في بطن الإنسان وفمه، والحشوش، ولوجب أن يزيد بزيادات الأماكن إذا خَلق منها ما لم يكن، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا وإلى يميننا وشمالنا، وهذا قد أجمع المسلمونَ على خلافه وتخطئة قائله"، وكلاماً مثل هذا، قاله الباقلاني في كتابه (التمهيد في أصول الدين)، وقد ذكر ابن القيم طرفاً كبيراً منه.

ومن جليل ما قاله الإمام العارف شيخ الصوفية معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني ت ٤١٨، فيما نقله عنه الذهبي في العلو وابن القيم في اجتماع الجيوش، قال: "أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وأجمعَ ما كان عليه أهل الحديث، وأهل التصوف والمعرفة من المتقدمين والمتأخرين"، فذكر أشياء إلى أن قال فيها: "وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون منه، فلا حلول ولا اختلاط ولا ممازجة ولا ملاصقة".

ومما قاله الإمام أبو زكريا يحيى بن عمار السجستاني (ت ٤٢٢) في رسالته: "لا نقول كما قالت الجهمية: إنه تعالى مداخل للأمكنة وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو؟، بل هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وهو معنى قوله: (مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد/ ٤)، وهو بذاته على عرشه كما قال سبحانه وكما قال نبيه صلى الله عليه وسلم"، كذا في مجموع الفتاوى ٥/ ١٩١، والعلو للذهبي ص ١٧٨.

وقال البيهقي (ت ٤٥٨) في كتاب (الاعتقاد) ص ٩١ وما بعدها بعد أن ذكر من آي العلو ما به تقوم الحجة: "وفيما كتبناه من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان، وقوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) (الحديد/ ٤)، إنما أراد به: بعلمه لا بذاته".

وقال الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣) بعد كلام طويل كما في التمهيد ٧/ ١٣٨ وهو في الحموية ص ٥١ والعلو ص ١٨٢ واجتماع الجيوش ص ٥١، ٧٢: "وأما احتجاجهم - يريد: الجهمية - بقوله عز وجل: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) (المجادلة/ ٧)، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل الآية: (هو على

العرش، وعلمه في كل مكان)، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتج بقوله"، وساق على إثر ذلك كلام ابن مسعود السالف الذكر، كما نص قبل كل ذا إبَّان ذكره لحديث النزول، على أن فيه "دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: (إن الله في كل مكان، وليس على العرش)"، وذكر من آي التنزيل ما به تقام الحجة، ثم قال بعد أن ذكر آية المجادلة: "وزعموا أن الله سبحانه في كل مكان بنفسه وذاته، قيل - يعني في الرد عليهم -: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذا قال أهل العلم بالتفسير، وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش، فالاختلاف في ذلك ساقط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر"ا.هـ.

وفي كلام جيد لأبي القاسم إسماعيل بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت ٥٣٥)، في كتابه الحجة ٢/ ١١٨ ونقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٦٨، يقول فيه: "أخبر سبحانه عن فرعون أنه قال: (يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا)(غافر/ ٣٦، ٣٧)، فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يُثبت إلهاً فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتهم موسى بالكذب في ذلك، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته، فهم أعجز فهماً من فرعون، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها، (أين الله؟)، قالت: في السماء، وأشارت برأسها، وقال: (من أنا؟)، فقالت: أنت رسول الله، فقال: (اعتقها فإنها مؤمنة)، فحكم النبي بإيمانها حين قالت: (إن الله في السماء)، وتحكم الجهمية بكفر من يقول ذلك".

وكان إمام الشافعية في وقته سعد بن علي الزنجاني (ت ٤٧٠) قد علق من قبل بنحو عبارتي الأصبهاني بحق فرعون والجارية، كما في اجتماع الجيوش ص ٧٥.. كما علق الحارث المحاسبي ت ٢٤٣على آية غافر كما في اجتماع الجيوش أيضاً ص ١٠٧، بما نصه: "قال تعالى: (وإني لأظنه كاذباً) - يعني: فيما قال موسى: إن إلهه فوق السموات - فبين الله أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال له، وعمد إلى طلبه حيث قال له مع الظن بموسى أنه كاذب: (يا هامان ابن لي صرحاً)، ولو أن موسى قال: (إنه في كل مكان بذاته)، لطلبه في نفسه، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً".. ومما قاله الزنجاني أيضاً ونقله عنه ابن القيم: "أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى: (سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى) (الأعلى/ ١)، وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو، لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل، فثبت بذلك أن لله علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة"ا.هـ

وفي كتابه (الغنية) ص ٧٣ يقول عبد القادر الجيلي ت ٥٦١ وقد نقله عنه بتصرف شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥/ ٨٥ والذهبي في العلو ص ١٩٣وابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١٠٨: "وهو جل وعلا.. يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء، وهو منزه عن مشابهة خلقه، ولا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال جل ثناؤه: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) (طه/ ٥)، وقال: (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ) (فاطر/ ١٠)"، يعني خلافاً للجهمية الذين ساق كلامهم ص ١١٤ من الغنية، يقول - رحمه الله -: "وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرَامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستواء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا نُقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك.. وكونه سبحانه على العرش، مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف".

ومما قاله الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١) في كتابه (تبيين كذب المفتري) ص ١٥٢ نقلاً عن أبي الحسن الأشعري فيما قالته جماعة أهل السنة

رداً على ما ادعته فرق الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة: "وندين بأنه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق/ ١٦)، وكما قال: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ) (النجم/ ٨، ٩)، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة، ومجانبة أهل الأهواء"، وعلق ابن عساكر يقول: "فتأملوا رحمكم الله، هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه!، واعترفوا بفضل هذا الإمام - يعني: الأشعري - الذي شرحه وبينه"، كما علق الذهبي في العلو ص ١٦٣ بعد أن نقله عنهما، علق يقول: "فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله".

ولابن تيمية (ت ٧٢٨) تعليقاً على ما قاله حماد بن زيد عن الجهمية (إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء)، ما نصه - وقد نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش -: "وهذا الذي كانت الجهمية يحاولونه، قد صرح به المتأخرون منهم، وكان ظهور السُّنة وكثرة الأئمة، في عصر أولئك: يحول بينهم وبين التصريح به، فلما بعُد العهد وخفيت السُّنة - كما هو الحال في زماننا - صرحت الجهمية النفاة بما كان سلفهم يحاولونه ولا يتمكنون من إظهاره".

وقد رد ابن رجب الحنبلي ت (٧٩٥) على الذين فسروا المعية بما لا يليق به تعالى من كونه بذاته في كل مكان، وهم الحلولية من الجهمية ومن نحا نحوهم، فقال في كتابه فتح الباري ٢/ ٣٣١: "لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يفهمون من هذه النصوص - نصوص المعية - غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده واحاطته بهم وقربه من عابديه واجابته لدعائهم، فيزدادون به خشية لله وتعظيماً واجلالاً ومهابة ومراقبة واستحياء، ويعبدونه كأنهم يرونه، ثم حدث بعدهم من قل ورعه وانتكس فهمه وقصده، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره، وأراد أن يري الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان، كما حكا ذلك: طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة، وهؤلاء ممن يتَّبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله..

وقد قصدوا بذلك إبطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن"، ثم ذكر - رحمه الله - كلام ابن عبد البر الذي ساق فيه إجماع الصحابة وتابعيهم على صحة ما ورد عن السلف من معية علمه تعالى وخطأ ما جنح إليه أهل الزيغ والضلال.

تلك هي بعض مقالات أئمة السلف التي تحمل (إجماعهم على أن الله تعالى بائن من خلقه، لا يحل في شيء منه، وأنه بذاته في السماء فوق العرش بلا كيف، وعرشه فوق الماء، والماء فوق السماء السابعة، وهو سبحانه في سمائه يدبر أمر مخلوقاته ويعلم ما هم عليه).. ومرة أخرى أقول: إنما قصدنا من خلال هذا التوسع في ذكر هذه المقولات وهي غيض من فيض:

الرد على منكري فوقيته تعالى وعلوه، من متأخري الأشاعرة الذين لا يزالون متأثرين أيما تأثر، بالجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم ممن زعموا أن من وصف الله بما أو ببعض ما وصف به نفسه في كتابه أو في سنة نبيه فهو مشبه أو مجسم.. والرد كذلك على من تأثر بأولئك الجهمية من أهل الحلول والاتحاد والزاعمين بأنه تعالى بذاته في كل مكان، والتحذير من مقولتهم: إن (الله موجود في كل الوجود)، وقد تبعهم في القول بذلك كثير من الطرقية القائلين بفناء الخالق بالمخلوق أو بحلوله - تعالى عن قولهم علواً كبيراً - في مخلوقاته، وقد تبعهم في ذلك - ولا يزال - خلق كثير من عوام المسلمين ممن فتنوا بقولهم، وتلك والله من أعظم الطوام التي حلت بأمة الإسلام، بعد أن تركها نبي الهدى على المحجة البيضاء ولوثها هؤلاء بمعتقداتهم الباطلة، حتى رأينا من سفهائهم مَن يقول: (وما الكلب والخنزير إلا إلهنا، وما الله إلا راهب في كنيسة)، وآخر يقول: (ما في الجبة إلا الله)، والجبة - على ما هو معلوم -: ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم، يُلبس فوق الثياب، يريد الشقي بذلك: أن الله بذاته قد حل في جسده، نسأل الله السلامة والعافية.. وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.

الإسلام منهج حياة

إعداد/ **صلاح نجيب الدق**

الحمدُ لله، حمداً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيرًا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن الإسلام منهج حياة لمن يريد أن يعيش حياةً كريمةً، يأمن فيها على نفسه وأهله وماله، وهذه حقيقة ثابتة لمن عرف حقيقة الإسلام وعاش في رحاب منهج الاسلام الرباني، من أجل ذلك أحببت أن أُذكر نفسي واخواني القرّاء الكرام بشيء يسير من منهج الاسلام في بعض جوانب الحياة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) الإسلام دين العلم:

قال الله تعالى:(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) (الغاشية:١٧: ٢٠)، روي مسلمٌ عن أبي هريرة أن النبيصلى الله عليه وسلم قال: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّه لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. (مسلم حديث ٢٦٩٩).

روى التِرمذيُّ عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ إنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دينَارًا وَلاَ درْهَمًا إِنَّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢١٥٩)

(٢) الإسلام يدعو إلى إعمار الكون:

روى أحمدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه صلي الله عليهَ وسلم:إنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ،وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا. (حديث صحيح) (مسند أحمد جـ٢٠ص٢٥١ حديث: ١٢٩٠٢).

(٣) الإسلام دين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقال سبحانه: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ)

(آل عمران: ١١٠)، روى مسلمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ. (مسلم حديث ٤٩).

(٤) الإسلام يكفل حقوق الإنسان:

روى البخاريُّ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ النَّبيِّ صلي اللَّه عليه وسلم: قَالَ اللَّه: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقيَامَة: رَجُلٌ أَعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ. (البخاري حديث ٢٢٢٧)

روى ابنُ ماجه عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم: أَعْطُوا الأَجيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجفَّ عَرَقُهُ. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ١٩٨٠).

(٥) الإسلام دين الاقتصاد:

قال الله تعالى:(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) (الأعراف:٣١)

وقال سبحانه عند ذكر صفات عباد الرحمن:(وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا) (الفرقان:٦٧)

روى ابنُ ماجه عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن العاص قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلي اللَّه عليه وسلم فَسَأَلَهُ عَنِ الْوُضُوءِ، فَأَرَاهُ ثَلاثًا ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّى، أَوْ ظَلَمَ» (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٣٣٩).

(٦) الإسلام دين العدل والمساواة:

روى الشيخان عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَة الْمَخْزُوميَّة الَّتي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فيهَا رَسُولَ اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم فقالوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْه إلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْد حِبُّ رَسُول اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ منْ حُدُود اللَّه، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إنَّمَا أَهْلَكَ الَّذينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإذَا سَرَقَ فيهِمْ الضَّعيفُ أَقَامُوا عَلَيْه الْحَدَّ وَايْمُ اللَّه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا . (البخاري حديث ٣٤٧٥ / مسلم حديث١٦٨٨).

روى مسلمٌ عَن أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم حينَ أُنْزِلَ عَلَيْه: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: ٢١٤) «يَا مَعْشَرَ قُرَيْش، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ منَ اللَّه، لا أُغْني عَنْكُمْ منَ اللَّه شَيْئًا، يَا بَني عَبْد الْمُطَّلب، لا أُغْني عَنْكُمْ منَ اللَّه شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْد الْمُطَّلب، لا أُغْني عَنْكَ منَ اللَّه شَيْئًا، يَا صَفيَّةُ عَمَّةَ رَسُول اللَّه، لا أُغْني عَنْكَ منَ اللَّه شَيْئًا، يَا فَاطمَةُ بنْتَ رَسُول اللَّه، سَليني بمَا شئْتَ لا أُغْني عَنْكَ منَ اللَّه شَيْئًا » (مسلم حديث: ٢٠٦).

(٧) سماحة الإسلام مع غير المسلمين

قال الله تعالى(لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٥٦)، قال سبحانه:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٌ عَظِيمٞ) (المائدة:٨).

روى أبو داودَ عن صَفْوَان بْن سُلَيْم عَنْ عدَّة منْ أَبْنَاء أَصْحَاب رَسُول اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم عَنْ آبَائهِمْ دنْيَةً(متصلو النسب) عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَته أَوْ أَخَذَ منْهُ شَيْئًا بغَيْر طيب نَفْس فَأَنَا حَجيجُهُ(خصمه) يَوْمَ الْقيَامَة. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٦٢٦).

يقول الله تعالى:(لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة:٨).

روى البخاريُّ (في الأدب المفرد) عَنْ مُجَاهد قَالَ: كُنْتُ عنْدَ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو، وَغُلامُهُ يَسْلَخُ شَاةً فَقَالَ: يَا غُلامُ إذَا فَرَغْتَ فَابْدَأْ بجَارنَا الْيَهُوديِّ. فَقَالَ رَجُلٌ منَ الْقَوْم: الْيَهُوديُّ أَصْلَحَكَ اللَّه؟ قَالَ: إنِّي سَمعْتُ النَّبيَّ صلي اللَّه عليه وسلم يوصى بالجار حتى خشينا أو رُؤينا أنه سَيُورِّثه. (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ٩٥).

هكذا كانت معاملة أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلملجيرانهم غير المسلمين في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم وبعد موته في البلاد الجديدة التي فتحوها، فعاش غير المسلمين في دولة الإسلام في أمان شريعة الله تعالى، وشهد لهذه المنقبة العظيمة كلُّ مُؤَرِّخٍ مُنصف من غير المسلمين.

(٨) الإسلام دين الرحمة بالإنسان:

قال سبحانه: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٞ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ) (التوبة:١٢٨)

(١) روى البخاريُّ عن أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابيًّا بَالَ في الْمَسْجد فَثَارَ إلَيْه النَّاسُ ليَقَعُوا به فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم: دَعُوهُ وَأَهْريقُوا

عَلَى بَوْله ذَنُوبًا مِنْ مَاء أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاء فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ. (البخاري حديث٢٢٠)

(٢) روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَةِ» (مسلم حديث:٤٦٧).

(٣) روى الشيخان عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم: لَا يَرْحَمُ اللَّه مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ. (البخاري حديث ٧٣٧٦، و مسلم حديث٢٣١٩).

(٩) الإسلام دين الشورى واحترام أراء الأخرين بشرط عدم الإضرار بالآخرين:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران:١٥٩).

قَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّه لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرَ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلَ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ. فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم وَمَنْ مَعَهُ مِنْ النَّاسِ، فَسَارَ حَتَّى إذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقُلُبِ فَغُوِّرَتْ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلِيبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ، فَمُلِئَ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الْآنِيَةَ.

(سيرة ابن هشام جـ١صـ:٦٣٠).

(١٠) الإسلام دين تكريم المرأة:

لقد أنصف الإسلام المرأة في كل جوانب حياتها فجعل موافقتها على الزواج شرطا من شروط صحة العقد، ولقد أعطاها الإسلام الحق في فسخ عقد الزواج إذا زوجها أبوها أو ولي أمرها بغير رضاها ذلك لأن الزواج عقد الحياة فيجب أن يتوافر فيه رضا الطرفين. روى البخاريُّ عَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ فَأَتَتْ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم فَرَدَّ نِكَاحَهَا.

(البخاري حديث ٥١٣٨).

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم: لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا: كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ. (البخاري حديث ٥١٣٦، ومسلم حديث ١٤١٩).

(١١) الإسلام دين توجيه الشباب:

روى الشيخان عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ مَسْعُود قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ.» (البخاري حديث ٥٠٦٦، ومسلم حديث ١٤٠٠).

(١٢) الإسلام دين القناعة والرضا باليسير من أمور المعيشة:

قال الله تعالى:(لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ) (البقرة:٢٧٣).

روى مسلمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلي الله عليه وسلم، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّه بِمَا آتَاهُ.» (مسلم حديث:١٠٥٤)، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم: «طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ» (البخاري حديث ٥٣٩٢/مسلم حديث ٢٠٥٨).

(١٣) الاسلام يدعو إلى حفظ اللسان عن الموبقات:

قال الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢)، روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلي الله عليه وسلم قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ.(مسلم حديث ٥٢٨٩).

يقول الله تعالى: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ) (القلم: ١٠: ١١) روى الشيخان عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنُمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلي

اللَه عليه وسلم يَقُولُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ. (البخاري حديث ٦٠٥٦، ومسلم حديث ١٠٥). قال اللَه تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ) (هود: ١٨).

روى الشيخان عَنْ عَبْد اللَه بن مسعود رَضيَ اللَه عَنْهُ عَنْ النَّبيِّ صلي اللَه عليه وسلم قال: إنَّ الكَذب يَهْدي إلَى الْفُجُور وَإنَّ الْفُجُورَ يَهْدي إلَى النَّار وَإنَّ الرَّجُل لَيَكْذبُ حَتَّى يُكْتَبَ عنْدَ اللَه كَذَّابًا. (البخاري حديث ٦٠٩٤، ومسلم حديث٢٦٠٧)

يقول اللَه تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) (الحجرات: ١١).

(١٤) الإسلام يدعو إلى حُسن الظن بالمسلمين:

قال اللَه تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢)، روى الشيخان عَنْ أبي هُرَيْرَة رَضيَ اللَه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَه صلي اللَه عليه وسلم قَال: «إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَديث، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عبَادَ اللَه إخْوَانًا» (البخاري حديث: ٦٠٦٦، ومسلم حديث: ٢٥٦٣).

(١٥) الإسلام دين العمل والكسب الحلال:

(١) روى البخاري عن أبي هُرَيْرَة أن النَّبيَّ صلي اللَه عليه وسلمقال لأَنْ يَأْخذ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتيَ بحُزْمَة الْحَطب عَلَى ظَهْره فَيَبيعَهَا فَيَكُفَّ اللَه بهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ منْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ. (البخاري حديث١٤٧١).

(٢) روى البخاريُّ عن الْمقْدَام رَضيَ اللَه عَنْهُ أن النبي صَلَى صلي اللَه عليه وسلمقال: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطّ خَيْرًا منْ أَنْ يَأْكُل منْ عَمَل يَده وَإنَّ نَبيَّ اللَه دَاوُدَ عَلَيْه السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ منْ عَمَل يَده. (البخاري حديث٢٠٧٢).

(١٦) الإسلام دين العفو والتسامح:

قال اللَه تعالى: (إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء: ١٤٩)، وقال سبحانه: (وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) (الشورى: ٤٠)، روى أبو داود عَنْ عَبْد اللَه بْن عَمْرو بْن الْعَاص أَنَّ رَسُولَ اللَه صلي اللَه عليه وسلم قَالَ: تَعَافُوا الْحُدُودَ فيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَني منْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٣٦٨٠).

روى مسلمٌ عَنْ أبي هُرَيْرَة عَنْ رَسُول اللَه صلي اللَه عليه وسلمقال: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ منْ مَال وَمَا زَادَ اللَه عَبْدًا بعَفْو إلَّا عزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَه إلَّا رَفَعَهُ اللَه. (مسلم حديث: ٢٥٨٨).

(١٧) الإسلام دين المواساة و التكافل الاجتماعي:

روى مسلمٌ عَنْ النُّعْمَان بْن بَشير قَال: قَالَ رَسُولُ اللَه صلي اللَه عليه وسلم: مَثَلُ الْمُؤْمنينَ في تَوَادِّهمْ وَتَرَاحُمهمْ وَتَعَاطُفهمْ مَثَلُ الْجَسَد إذَا اشْتَكَى منْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائرُ الْجَسَد بالسَّهَر وَالْحُمَّى. (مسلم حديث: ٢٥٨٦).

روى الشيخان عَنْ أبي مُوسَى رَضيَ اللَه عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صلي اللَه عليه وسلم قَال: «الْمُؤْمنُ للْمُؤْمن كَالْبُنْيَان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابعه. (البخاري حديث: ٢٤٤٦، ومسلم حديث: ٢٥٨٥).

(١٨) الإسلام يدعو إلى بر الوالدين وصلة الأرحام:

قال اللَه تعالى: (وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) (النساء: ٣٦)، روى الترمذيُّ عَنْ عَبْد اللَه بْن عَمْرو بن العاص عَنْ النَّبيِّ صلي اللَه عليه وسلم قَال: رَضَى الرَّبِّ في رضَى الْوَالد وَسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَط الْوَالد. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٥٤٩).

قال اللَه تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ منْ نَفْس وَاحدَة وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُمَا رجَالًا كَثيرًا وَنسَاءً وَاتَّقُوا اللَه الَّذي تَسَاءَلُونَ به وَالْأَرْحَامَ إنَّ اللَه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقيبًا) (النساء: ١).

روى مُسْلمٌ عَنْ عَائشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَه صلي اللَه عليه وسلم: «الرَّحمُ مُعَلَّقَةٌ بالْعَرْش تَقُولُ مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ اللَه، وَمَنْ قَطَعَني قَطَعَهُ اللَه» (مسلم حديث: ٢٥٥٥)، روى الشيخان عَنْ أَنَس بْن مَالك قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللَه صلي اللَه عليه وسلم، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رزْقه، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ في أَثَره، فَلْيَصلْ رَحمَهُ» (البخاري حديث ٢٠٦٧، ومسلم حديث ٢٥٥٧).

(١٩) الإسلام يدعو إلى صيانة الأعراض وستر عيوب العصاة غير المجاهرين بالمعاصي:

روى مسلمٌ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبيِّ صلي اللَه عليه وسلم قَال: لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا في الدُّنْيَا إلَّا سَتَرَهُ اللَه يَوْمَ الْقيَامَة. (مسلم حديث ٢٥٩٠)، روى أبو دَاوُدَ عَنْ أَبي بَرْزَةَ الْأَسْلَميِّ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَه صلي اللَه عليه وسلم: يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بلسَانه وَلَمْ

يَدْخُلْ الإيمَانُ قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا الْمُسْلمينَ وَلا تَتَّبعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللّٰه عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعْ اللّٰه عَوْرَتَه يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِه. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤٠٨٣).

(٢٠) الإسلام دين الفضيلة والطهارة:

قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الأحزاب: ٥٩)، روى مسلمٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللّٰهصلي اللّٰه عليه وسلم قَالَ: «إيَّاكُمْ وَالدخُولَ عَلَى النسَاء» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللّٰه أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟(أقارب الزوج) قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ»(مسلم حديث: ٢١٧٢).

(٢١) الإسلام دين القوة والعزة والكرامة:

قال الله تعالى:(وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال:٦٠)، وقال سبحانه: (وَللّٰه الْعِزَّةُ وَلِرَسُوله وَلِلْمُؤْمنينَ وَلكنَّ الْمُنَافقينَ لا يَعْلَمُونَ) (المنافقون:٨).

روى مسلمٌ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم: «الْمُؤْمنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلَى اللّٰه منَ الْمُؤْمن الضَّعيف، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعنْ باللّٰه وَلا تَعْجَزْ، وَإنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكنْ قُلْ قَدَرُ اللّٰه وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَان.» (مسلم حديث ٢٦٦٤).

(٢٢) الإسلام دين التعاون:

قال الله تعالى:(وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) (المائدة:٢) روى الترمذيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم: يَدُ اللّٰه مَعَ الجَمَاعَة. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٧٦٠).

(٢٣) الإسلام دين الصدق في الأقوال والأفعال:

قال عَزَّ وجَل: (قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (المائدة:١١٩)، روى الشيخان عَنْ عَبْد اللّٰه بن مسعود رَضيَ اللّٰه عَنْهُ عَنْ النَّبيِّ صلي اللّٰه عليه وسلمقَالَ: إنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إلَى الْبِرِّ وَإنَّ الْبرَّ يَهْدي إلَى الْجَنَّة وَإنَّ الرَّجُل لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صدِّيقًا. (البخاري حديث ٦٠٩٤، ومسلم حديث٢٦٠٧).

روى أبو داودَ عَنْ عَبْد اللّٰه بْن عَامر أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْني أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلمقَاعدٌ فِي بَيْتنَا فَقَالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطيكَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم:وَمَا أَرَدْت أَنْ تُعْطيه؟قَالَتْ: أُعْطيه تَمْرًا.فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلمأَمَا إنَّك لَوْ لَمْ تُعْطه شَيْئًا كُتبَتْ عَلَيْك كذْبَةٌ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤١٧٦).

(٢٤) الإسلام دين المحافظة على الأمانة والوفاء بالعهد:

قال الله تعالى:(إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا) (النساء:٥٨)، وقال سبحانه:(وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا) (الإسراء:٣٤)، روى أَبُو داودَ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم: «أَدِّ الأَمَانَةَ إلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ.» (صحيح أبي داود للألباني حديث٣٠١٩).

(٢٥) الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق:

روى البخاريُّ عَنْ عَبْد اللّٰه بْنِ عَمْرو بْنِ العاص، رَضيَ اللّٰه عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ يَكُن النَّبيُّ صَلَّى اللّٰه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَاحشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إنَّ منْ خيَاركُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا. (البخاري حديث: ٣٥٥٩)

(٢٦) الإسلام دين الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير:

قال تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)(البقرة: ٢٦١)، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلمقال: مَنْ تَصَدَّقَ بعَدْل تَمْرَة منْ كَسْب طَيِّب وَلا يَقْبَلُ اللّٰه إلَّا الطَّيِّبَ وَإنَّ اللّٰه يَتَقَبَّلُهَا بيَمينه ثُمَّ يُرَبِّيهَا لصَاحبه كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ (مُهْرَهُ) حَتَّى تَكُونَ مثْلَ الْجَبَل. (البخاري حديث١٤١٠/ مسلم حديث١٠١٤).

(٢٧) الإسلام دين التوفيق والإصلاح بين الناس:

قال الله تعالى: (وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٢٤)، روى أبو داودَ عَنْ أَبي الدَّرْدَاء قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم:أَلا أُخْبرُكُمْ بأَفْضَل منْ دَرَجَة الصِّيَام وَالصَّلاة وَالصَّدَقَة قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللّٰه قَالَ: إصْلاحُ ذَات الْبَيْن وَفَسَادُ ذَات الْبَيْن الْحَالقَةُ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤١١١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

باب الفقه

السجود

الحلقة الثانية

(تعريفه، حكمه، حكمته، الاطمئنان فيه، صفته، ما يقال فيه)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد تكلمنا في العدد السابق عن معنى السجود، وحكمه وحكمته، وحكم الاطمئنان فيه، وكيفية الهوي إلى السجود، وفي هذا العدد نتحدث عن الصفة أو الهيئة التي ينبغي على المصلي أن يكون عليها في سجوده في الصلاة.

إعداد/ **د. حمدي طه**

هيئة السجود:

وتكون هيئة السجود بأن يسجد على سبعة أعضاء لا ينبغي السجود إلا عليها مجتمعة، فيجعل المسلم جبهته وكفَّيه وركبتيه وقدميه على الأرض بالصفة المعلومة، والأصل في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه قال «أَمَرَ النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسجد على سبعة أعضاء، ولا يكفَّ شعراً ولا ثوباً: الجبهة واليدين والركبتين والرِّجلين» (رواه البخاري ومسلم).

ووقع في رواية أخرى لمسلم من طريق العباس بن عبد المطَّلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة أطراف: وجهُه وكفَّاه وركبتاه وقدماه». وعند الترمذي وأبي داود بلفظ «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب...». وعند أحمد من طريق العباس رضي الله عنه بلفظ «إذا سجد الرجل سجد معه سبعة آراب ...». (الجامع لأحكام الصلاة ٢/ ٢٥٠). وقوله (آراب) بالمد جمع إرب بكسر أوله وإسكان ثانيه وهو العضو.

فهذه الأعضاء السبعة هي أعضاء السجود. (نيل الأوطار٤/ ٢٨٧).

حكم السجود على الأعضاء السبعة:

اتَّفق الفقهاء على أنَّ أكمل السَّجود هو أن يسجد المصلِّي على سبعة أعضاء، وهي الجبهة مع الأنف، واليدان، والرَّكبتان، والقدمان، لحديث ابن عباس «أَمَرَ النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسجد على سبعة أعضاء، ولا يكف شعراً ولا ثوباً: الجبهة واليدين والركبتين والرِّجلين» (الموسوعة الفقهية ٢٤/ ٢٠١).

وقد اختلف العلماء فيما يجزئ السجود عليه من الآراب السبعة بعد إجماعهم أن السجود على الوجه فريضة، فقالت طائفة: إذا سجد على جبهته دون أنفه أجزأه، روى ذلك عن ابن عمر، وعطاء، وطاوس، والحسن، وابن سيرين، والقاسم، وسالم، والشعبي، والزهري، وهو قول مالك، وأبي يوسف، ومحمد، والشافعي في أحد قوليه، وأبي ثور. (شرح

اتَّفق الفقهاء على أنَّ أكمل السَّجود هو أن يسجد المصلِّي على سبعة أعضاء، وهي الجبهة مع الأنف، واليدان، والرَّكبتان، والقدمان.

صحيح البخاري لابن بطال٢/٢٢٤).

لقوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم». ولم يذكر الأنف فيه، ولحديثِ جابر رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بأعلى جبهته على قصاص الشَعر» رواه أبو يعلي والطبراني في الأوسط وضعفه غير واحد.

وإذا سجد بأعلى جبهته لم يسجد على الأنف، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا سجدت فمكّن جبهتك من الأرض .....».

ويستحبَ عند هؤلاء السّجود على الأنف مع الجبهة للأحاديث الّتي تدلّ على ذلك. (الموسوعة الفقهية٢٤/٢٠٧).

وقالت طائفة: يجزئه أن يسجد على أنفه دون جبهته، هذا قول أبي حنيفة، وروي مثله عن طاوس، وابن سيرين، وذكر أبو الفرج، عن ابن القاسم مثله. (شرح صحيح البخاري لابن بطال٢/٢٢٥).

واحتج بالحديث «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء»، منها الوجه، فلا يخص بالجبهة دون الأنف. وبهذا الحديث احتج أبو حنيفة فى أنه يجزئ السجود على الأنف خاصة، وقال: ذكره للوجه يدل على أنه أي شيء وضع منه أجزأه، وإذا جاز عند من خالفنا الاقتصار على الجبهة دون الأنف جاز الاقتصار على الأنف دون الجبهة؛ لأنه إذا سجد على أنفه، قيل: قد سجد على وجهه، كما إذا اقتصر على جبهته.

واستدل أبو حنيفة بالرواية الثانية من حديث ابن عباس المذكور في الباب لأنه ذكر الجبهة وأشار إلى الأنف فدل على أنه المراد، ورده ابن دقيق العيد فقال: إن الإشارة لا تعارض التصريح بالجبهة لأنها قد لا تعين المشار إليه بخلاف العبارة فإنها معينة (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١/٣٦١ بتصرف).

قال ابن المنذر: لا يُحفظ أن أحداً سبقه إلى هذا القول. (الموسوعة الفقهية٢٤/٢٠٧).

وقال ابن القصار - في الرد على أبي حنيفة-: وإجماع الأعصار حجة، ووجدنا عصر التابعين على قولين: فمنهم من أوجب السجود على الجبهة والأنف، ومنهم من جوز الاقتصار على الجبهة، فمن جوز الاقتصار على الأنف دون الجبهة خرج عن إجماعهم (شرح صحيح البخاري لابن بطال٢/٢٢٤).

وأوجب قوم من أهل الحديث السجود على الأنف والجبهة جميعًا، روى ذلك عن النخعي، وعكرمة، وابن أبي ليلى، وسعيد بن جبير، وهو قول أحمد، وطائفة، وهو مذهب ابن حبيب. (شرح صحيح البخاري لابن بطال٢/٢٢٤)، لما روى ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة - وأشار بيده على أنفه - واليدين والرّكبتين، وأطراف القدمين». وفي رواية «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة والأنف ... الحديث.

اختلف العلماء فيما يجزئ السجود عليه من الأعضاء السبعة بعد إجماعهم على أن السجود على الوجه فريضة.

وعن أبي حميد « أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم: كان إذا سجد أمكن أنفه وجبهته من الأرض ». (نيل الأوطار٤/٢٨٧).

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم: « أنّه رأى رجلاً يصلّي لا يصيب أنفه الأرض فقال: لا صلاة لمن لا يصيب أنفه من الأرض ما يصيب الجبين». رواه الدارقطني وقال: الصواب عن عكرمة مرسلا وصحح الألباني رفعه في صفة الصلاة.

وللحديث بقية إن شاء الله.

أيتهما أولى بالإيثار؟!

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبيَّ بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فمن المعلوم أن من طلب شيئًا من نفائس الدنيا لا يهدأ ولا ينام، بل يسعى للوصول إليه، ليله، ونهاره، سعي النشيط الهُمام، وكلما سُدّ في وجهه بابٌ، قرع بابًا آخر، وإن تعدَّدت الأبواب، كما هو دأبُ الحريص المقدام، وكلما نظر إلى قدر ما يطلبُ هانَ عليه السعي، وما يلقاهُ من مصاعبَ ومتاعب وآلام، والعجيب أنه لا يملّ ولا يسأم، وإن واصل السَّعي سنين.

وأنت تطلبُ الجنة يا هذا ولا نفيس أنفس منها لأنها لا تفنى ولا تبيد، قال الله تعالى: «وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» (هود:١٠٨)، معنى «عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذ» أي: غير مقطوع، وقال تعالى: «مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ» (الرعد:٣٥)، وقال الله تعالى: «إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ» (الحجر:٤٥- ٤٨)، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا» (البينة: ٧- ٨).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة: يُنَادي مُنَاد إنَّ لَكُمْ أَنْ تَصحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا». (مسلم: ٢٨٣٧).

ولأنَّ فيها ما اشتهت نفسك، ولذتّ عينك دون أي تقيد. قال الله تعالى: «يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ (٦٩) ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» (الزخرف: ٦٨- ٧١).

وقال الله تعالى: «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ» (فصلت: ٣١- ٣٢).

وقال الله تعالى: «لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» (ق:٣٥).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلةً؟ قال: هو رجل يجيءُ بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: أدخل الجنة. فيقول: كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ، ربَ. فيقول: لك ذلك ومثلُه ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيتُ، رب. فيقول: هذا لك وعشرةُ أمثاله. ولك ما اشتهتْ نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيتُ، ربِّ، فيقول: لك ذلك. ومثلُه ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيتُ، رب. فيقول: هذا لك وعشرةُ أمثاله. ولك ما اشتهتْ نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيتُ، ربِّ، قال: ربِّ. فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها، فلم تر عينٌ ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر». (مسلم: ١٨٩).

قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ» (السجدة:١٧)، ففيها

ما تشتهيه أنفس أهلها من صنوف الأطعمة والأشربة والألبسة، ونحوها مما تطلبه النفوس وتهواه، كائنًا ما كان.

دارٌ قصورها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، طينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، وخيامها اللؤلؤ المجوف.

هي- والله- نورٌ يتلألأ، وريحانة تهتز، ونهر مطرد، وفاكهة وخضرة وزوجات حسان.

فيها العباد المنعمون الذين يأكلون ولا يتمخطون، ولا يبولون، بل مسك يرشح، فيها العباد المنعمون الذين يضحكون ولا يبكون، ويقيمون ولا يظعنون، ويحيون ولا يموتون، فيها الوجوه المسفرة، الضاحكة المستبشرة، فيها الجمال المبين، والحور العين، فيها النعيم الدائم، بل كل شيء باسم، فيها يرفع الحجاب فينظر الفائزون إلى وجه العزيز الوهاب، تلك الغاية الكريمة التي ترنو إليها العيون الحالمة، وتهفو إليها الأرواح المشوقة، عَنْ أبي سَعيد الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: إنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالَى يَقُولُ لأَهْل الْجَنَّةَ يَا أَهْلَ الْجَنَّة فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضيتُمْ؟ فَيَقُولونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا منْ خَلْقكَ. فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطيكُمْ أَفْضَلَ منْ ذَلكَ. قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ منْ ذَلكَ؟ فَيَقُولُ: أُحلُّ عَلَيْكُمْ رضْوَاني فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا. (متفق عليه: البخاري: ٦٥٤٩، ومسلم ٢٨٢٩).

وعَنْ صُهَيْب رضي الله عنه عَنْ النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: إذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّة الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُريدُونَ شَيْئًا أَزيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا منْ النَّار؟ قَالَ: فَيَكْشفُ الْحجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إلَيْهمْ منْ النَّظَر إلَى رَبِّهمْ عَزَّ وَجَلَّ. (مسلم: ١٨١).

فيا قرة عيون الأبرار، بالنظر إلى وجه الكريم الوهاب، وحسبنا قول سَهل بن سعد رضي الله عنه قال: شهدت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: «فيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمعَتْ، وَلَا خطر عَلَى قَلْب بَشَر». ثم قرأ: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ» (السجدة:١٦). (البخاري: ٤٧٧٩، ومسلم: ٢٨٢٤).

والخلاصة: أنَّ من يدخل الجنة يتمتع بنعيمها ولذاتها، ويكون بذلك في شغل عما سواه، إذ يرى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». فأنى له أن يفكر فيما سواه وهو بذلك فرحٌ مستبشر، ضحوك السِّنِّ، هادئ البال، لا يرى شيئًا يغمه، أو ينغص عليه حبوره وسروره، فهل شمَّرت عن ساق وسعيت للوصول إليها، كما تسعى فقط لذلك الفاني من الحطام؟

المشاهدُ أنك لا تسعى لتلك الجنة، ولا يخطرُ لك السعيُ إليها على بال، ولو أنك ساويتها في السعي عليها بأي مطلوب دنيوي لكنت من عظماء الرِّجال، ولكن يا للأسف، لم يكن من ذلك شيءٌ، والسَّعيُ للجنة لا يكونُ بالكلام، ولا بالأماني والأحلام، ولكن بصالحات الأعمال.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيتُ مثل النار نام هاربُها، ولا مثل الجنة نام طالبها». (صحيح الجامع رقم: ٥٦٢٢).

وكيف تنامُ العينُ وهي قريرةٌ
ولم تدرِ في أي المكانين تنزلُ

ألم تقرأ- أخي- قول الله تعالى: «وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا» (الإسراء:١٩)، وقال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ» (الحاقة:١٩- ٢٤)، والمعنى: يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: «هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ» (الحاقة:١٩) أي: خذوا اقرؤوا كتابيه، لأنه يعلم أنَّ الذي فيه خير وحسنات محضة، لأنه مما بدل الله سيئاته حسنات، «إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ» (الحاقة:٢٠) أي: كُنت موقنًا في الدنيا أنَّ هذا اليوم كائن لا محالة، فيُقال لهم إكرامًا: «كلوا واشربوا» أي: من كل طعام لذيذ

وشراب شهيّ، «هنيئًا» أي: تامًا حلالاً من غير مكدر ولا منغص، وذلك الجزء حصل لكم «بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ» (الحاقة:٢٤) من الأعمال الصالحة، من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وإحسان إلى الخلق، وذكر الله، وإنابة إليه، وترك الأعمال السيئة، فالأعمال جعلها الله سببًا لدخول الجنة، ومادة لنعيمها، وأصلاً لسعادتها. (تسير الكريم الرحمن ٧/٤٦٢- ٤٦٣).

وقوله سبحانه: «إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا» (الإنسان:٢٢) أي: القليل منه، يجعل الله لكم به، من النعيم ما لا يمكن حصره، فيا إخواني- الذي يخاف النار لا ينام، والذي يرجو الجنة لا ينام، كما وصفهم الملك العلام، حيث قال: «وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا» (الفرقان:٦٤)، وقال الله تعالى: «أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ» (الزمر:٩)، وقال الله تعالى: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ» (السجدة:١٦). ورضي الله عن أبي بكر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أنفق زوجين من شيءٍ من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب- يعني الجنة- يا عبد الله هذا خيرٌ فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان». فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يُدعى منها كلها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر». (البخاري: ٣٦٦٦، ومسلم: ١٠٢٧).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رَجُلٌ للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: أريت إن قتلت فأين أنا؟ قَالَ: في الْجنَّة. فَأَلْقَى تَمَرَات كُنَّ في يَده، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتلَ. (البخاري: ٤٠٤٦، ومسلم ١٨٩٩).

«وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ» (المطففين:٢٦).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». (البخاري: ٦٤٨٨)، قال الله تعالى: «بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ» (الأعلى:١٦- ١٧)، فالعاقل الموفق هو الذي يطلب العلو والرفعة في الآخرة دار المقامة لا يبغون عنها حولاً، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» (الكهف:١٠٨)، قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة. اهـ. ففي درجات الآخرة الباقية يكون التنافس، قال صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجرُ أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن». (البخاري مع الفتح: ٦/١١).

وأما الفاني المنقطع الذي يعقب صاحبه غدًا حسرة وندامة وهوانًا وصغارًا، فهل رأيتم أشد غبنًا ممن يبيع الجنان العالية بحياة أشبه بأضغاث أحلام، يبيعُ الفردوس بدنيا قصيرة وأحوال زهيدة مشوبة بالنقص ممزوجة بالغصص، حياة إن أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا، وإن سرَّت أيامًا أحزنت دهورًا، فبأي عقل ينكر من يبيع مساكن طيبة في «جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ» (القمر:٥٤- ٥٥)، بدار قال عنها خالقها سبحانه وتعالى: «ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا» (الحديد:٢٠).

وقد قيل: لو كانت الدنيا من ذهب يُفنى، والآخرة من خزف يبقى، لأثرت العقول السليمة الذي يبقى على الذي يفنى، فكيف والدنيا من خزف يفنى، والآخرة من ذهب يبقى، فيا حسرة هذا المتخلف حين يعاين كرامة الله لأوليائه وما أخفي لهم من قرة أعين فلسوف يعلم أي بضاعة أضاع؟

اللهم إنا نسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ولذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.. آمين.

فتاوى

من فتاوى اللجنة الدائمة

أحكام البيوع

السؤال العاشر من الفتوى رقم (٨٢٦٧):

س: أعطاني سلعة بمبلغ ١٥٠ جنيهاً لأبيعها له، ولي على ذلك البيع نسبة من الربح قدرها لي بـ ١٠٪، فهل لي أن أبيع بأغلى من هذا الثمن وآخذ المكسب لي أم لا؟ وما الحكم لو كان قد اشترط علي عدم البيع بأغلى من ١٥٠ جنيهاً؟

ج: يجوز بيع السلعة بأكثر من ثمنها إذا فازت، لكن الزيادة تكون ملكا لصاحب السلعة، ولك من الربح كله النسبة التي شرطها لك، وأما إذا اشترط المالك عدم بيعها بسعر أغلى فتباع بالثمن الذي حدد المالك فقط.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الفتوى رقم (٩٣٠٣):

س: رجل طلب من آخر شراء شيء ما، وسعر هذا الشيء مثلا ثلاثة دنانير، فكان ذلك الشخص يعطيها له بأربعة دنانير، ويأخذ لنفسه الفرق، فهل يصح شرعا هذا الفعل أم لا؟

ج: الوكيل أمين ونائب عن المشتري، فلا يجوز له أن يزيد في ثمن السلعة ليأخذ الزيادة بدون علم الموكل، لكن متى أعلمه بالزيادة فلا حرج.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الفتوى رقم (١١١٥):

س: هل يجوز بيع الحصة المشاع تملكها في قطعة أرض معروفة الحدود والمساحة والموقع، والمملوكة بموجب سند يثبت المساهمة في تملكها، ويعين مقدار هذه الحصة بالنسبة لكامل الأرض؟

ج: لا بأس بتداول الحصة المشاع تملكها في عقار معروف الحدود والمساحة والموقع، إذا كانت نسبتها إليه معلومة، كأن تكون ربعه أو ثمنه أو ربع عشره أو نحو ذلك، لا بأس بتداولها بيعا وشراء وهبة وإرثا ورهنا وغير ذلك من التصرفات الشرعية فيما يملكه المرء؛ لانتفاء المانع الشرعي في ذلك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الأول من الفتوى رقم (١٥٩٠١):

س: قال تعالى: سورة الجمعة الآية ٩ (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله). ويسأل كاتب الرسالة: هل التجارة هي الممنوعة؟ أم المؤمنون ليسوا مجبرين على الذهاب إلى الصلاة يوم الجمعة إذا استطاعوا الاستمرار في تجارتهم؟

ج: قوله تعالى: سورة الجمعة الآية ٩ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ)معناه: ترك

الاشتغال بالتجارة والتوجه لسماع الخطبة وأداء صلاة الجمعة في المسجد مع الإمام، وهذا يعني: تحريم البيع والشراء بعد الأذان وعند جلوس الخطيب على المنبر حتى تنتهي الصلاة، إلا لضرورة تدعو إلى الشراء؛ كماء للطهارة أو ثوب يستر به عورته للصلاة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الأول من الفتوى رقم (١٧٨٥٣):

س: هل يجوز للمسلم قطع أو جني العنب الذي يستعمل عصيره خاصا للخمر فقط، ولا يصلح هذا النوع للأكل؟ والمتصور هنا المسلم الذي لا مدخول له، يعيش بإعانات اجتماعية لا تسمن ولا تغني من جوع، ويدوم هذا الموسم السنوي لقطع العنب أسبوع إلى ثلاثة، وفي حالة الضرورة.

ج: لا يجوز بيع العنب لمن يتخذه خمرا، ولا جنيه وتحضيره لمن يفعل ذلك؛ لأن هذا من الإعانة على معصية الله، وقد قال تعالى: سورة المائدة الآية ٢ (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم الخمر وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه؛ من أجل تعاونهم على الإثم والعدوان.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الثالث من الفتوى رقم (٧٥٣٩):

س: ما الحكم إذا باع الصيدلي أدوات التجميل الخاصة بالنساء علما بأن غالبية من يستعملنها من المتبرجات العاصيات لله ورسوله، واللاتي يستخدمن هذه الأشياء في التزين لغير أزواجهن والعياذ بالله؟

ج: إذا كان الأمر كما ذكر فلا يجوز له البيع عليهن إذا كان يعلم حالهن؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان، وقد نهى الله تعالى عنه بقوله تعالى: سورة المائدة الآية ٢ (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الثالث عشر والرابع عشر من الفتوى رقم (١٩٦٣٧):

س: يأتي أحيانا بضائع فيها بعض الآلات الموسيقية، أو آلات التدخين (شيشة) أو أواني تساعد على التدخين، مثل الولاعات وطفايات السجائر، فهل نتخلص منها أم نبيعها؟ أفتونا جزاكم الله خيرا.

هل يجوز بيع المجسمات (أصنام) من حيوانات وغيره، وكذلك المحنطة؟

ج: يحرم بيع الآلات الموسيقية وآلات التدخين والشيشة وغيرها من وسائل المعاصي والشرك: كالأصنام، ومجسمات الحيوانات المحنطة ونحوها؛ لأن ما حرم الانتفاع به حرم بيعه، ولأن في ذلك إعانة على المنكر والفساد، وتيسيرا لارتكاب المعاصي والوقوع في البدع والشرك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الخامس من الفتوى رقم (٧٥٥١):

س: هل المساومة على سعر السلعة جائزة شرعا أو لا؟

ج: تجوز المساومة على السلعة؛ رعاية لحق البائع، ما لم يركن البائع إلى سوم عرض أحد السائمين، فإذا ركن البائع ورضي فلا يجوز المساومة بعد ذلك رعاية لحق من رست عليه، وهذا هو المقصود بالنهي عن سوم الإنسان على سوم أخيه.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

◇ ◇ ◇ ◇

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

◇ ◇ ◇ ◇

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا .

◇ ◇ ◇ ◇

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه .

الآن

مفاجأة سارة

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٢ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موسوعة التوحيد ببلاش

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .

ومفاجأة آخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٥ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط

التوحيد
١٤٣٥
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

☎ 23936517

١٤٣٥